الشمال
ACHAMAL 2000

المغرب تارة MAROC 2007 www.ojd.ma

يومية جهوية وطنية تصدر مؤقتاً كل أسبوع

البريد الإلكتروني : info@achamal.ma | الموقع الإلكتروني : www.achamal.ma

المدير المسؤول : عبد الحق بخات ـ الهاتف : 05.39.94.30.08 ـ الفاكس : 05.39.94.57.09

العدد 1308 ـ الثمن 4 دراهم ـ السبت 26 ذو القعدة 1446 / 24 ماي 2025

رياضة في مكافحة الإرهاب..

شاركت الإدارة العامة للأمن الوطني في ملتقى فيينا أيام 6 ، 7 ، 8 من شهر ماي الجاري برئاسة السيد عبد اللطيف حموشي التزاماً من المملكة المغربية بتعزيز التعاون الأمني إقليمياً ودولياً وتبادل الخبرات والتجارب في مكافحة الإرهاب والجريمة العابرة للحدود..

استحداث منصات المخزون والاحتياطات الأولية..

أعطى جلالة الملك محمد السادس حفظه الله انطلاقة أشغال إحداث منصات المخزون والاحتياطات الأولية التي ستشمل كل جهات المملكة .

وتهدف هذه المنصات إلى :

- تطوير البنيات التحتية الوطنية للطوارىء..
- تحسين منظومة التدخل في حالة وقوع كوارث..
- ضمان سرعة تقديم الإغاثة..
- إيصال المساعدة للمتضررين ..
- تعزيز القدرة على الصمود في الفيضانات والزلازل والانجرافات والمخاطر الكيماوية..

إن استحداث منصة المخزون والاحتياطات الأولية بجهة الرباط سلا القنيطرة شكلت انطلاقة أولى من برنامج يشمل إنجاز 12 منصة تغطي جهات المملكة باستثمار إجمالي يبلغ 7 ملايير درهم ؛ منها 2 مليار للبناء و5 ملايير لاقتناء المواد والتجهيزات.. في وعاء عقاري تقدر مساحته ب 240 هكتار .

خلاصة بحث في تسمية مدينة شفشاون

• أحمد بنميمون

تأمل الناس الذين اهتموا بتاريخ شفشاون ، بمحاولة تفسير اسمها ، فمنهم من يرى أن فيه تركيباً مزجياً مكوناً من لفظتين إحداهما عربية والأخرى أمازيغية، بحيث تعني : شف بالعربية: انظر،وتعني شاون في الأمازيغية قرون أو قمم جبال ، و رأى آخرون أن اسمها هو تحريف لعبارة (شف شأوَنا) أي: أنظر همتنا وغايتنا. وأنا أستبعد هذين الأمرين معاً لاعتمادهما على مجرد التخييل البعيد .

لكن إذا افترضنا أن منطقة شفشاون كانت جهة عبور العرب إلى الأندلس ، بدليل وجود مسجد طارق بن زياد بقرية الشرافات القريبة منها، فربما أطلق بعض العرب على المنطقة التي تقع فيها المدينة حالياً اسم (الشّوَانّ)فخفّفَ اللفظ إلى (شَوَانّ) ثم خففت ثانية لتصبح (شاون) ثم أدخل عليها (أل) للتعريف ، ويسهل بعد هذا أن يكون من وقف بمنطقتنا بين العرب من قال لصاحبه :(شف شَوانّ)، فمزج اللفظين، لكن ماذا يؤيد هذا الافتراض؟

يؤيده عندي أن لفظة الشّوَانّ تعني في العربية الفصحى: مسايل الجبال التي تَصبّ في الأودية من المكان الغليظ، واحدتها شانّة ؛ والشّنُان: الماء البارد .

وكل هذه الأمور مجتمعة في هذه الجهة من أرض المغرب الحبيب التي تسمى حالياً بـ: شفشاون. وليس غريباً أن يُنسى الأصل أو يُهجر في غمار التداول.

اللهم لا تحرمني من الأجر الواحد ، فما قولي هذا إلا اجتهاد.

تعليق الشاعر المغربي أحمد بلحاج آية وارهام : لله درك سيدي أحمد،لقد أصبت الحقيقة،ووصلت إلى جرثومة التسمية.فالتسمية هي الوجود الخالص،ومن لم يعقلها لم يعقل وجود المسمى.وشفشاون هي فردوسنا المغربي الذي نباهي به كل الحواضر.

مشكلة سكان وتجار رنشهاوسن بطنجة

في إطـار المبـادرات المسؤولـة التي يقـوم بها سكـان وتجـار رنشهاوسن عبر جمعيتهم للتعريـف بقضيتهـم أمام كـل الجهات المسؤولة على تدبيـر الشأن العام المحلي، عقد مكتـب جمعية سكـان وتجار رينشهاوسن للتنمية البشرية يوم الثلاثـاء 06 مـاي 2025 (على الساعة الواحـدة والنصـف زوالاً) جلسة عمـل مـع نائـبـة رئيـس الجماعة الحضرية بطنجـة ليلى تيكيـت المكلفـة بالمجتمـع المدني وبالشؤون الاجتماعيـة، حيـث وضح ممثلو الجمعيـة النائبـة حيثيـات قضية بنايات رينشهاوسن وبيتري، وأبـرزوا، عبر الإحصائيات المستقاة من الواقع، الجانب الاجتماعي للقضية التي لا يمكن اختزالها في إشكال قانوني فقط. وقـد أولت السيدة النائبة اهتماما خاصا للموضوع، مؤكدة أنها ستعرض الملف على السيد رئيس جماعة طنجة قصد تدارسه. وتجدر الإشارة إلى أن السكان والتجار، عبر جمعيتهم، يسعون إلى ترسيم قنوات الحوار الجاد والمسؤول تحت إشراف السلطات المحلية والأطراف المعنية، لمنع الغبن والظلم الذي يطول الساكنة، والذي نهجه الملاكون الجدد كأسلوب، دون اعتبار لفلسفة الدولة الاجتماعية التي من بين مقوماتها المقاولة المواطنة المتمحورة حول المقاربة التشاركية التي رسمها الدستور كمقاربة محورية في تدبير الشأن العام. نتمنى أن تنخرط المؤسسات المنتخبة في دعم هذه الفئة من مواطني مدينة طنجة والوقوف إلى جانبهم في قضيتهم هذه.

عن مكتب جمعية سكان وتجار رنشهاوسن للتنمية البشرية
جريدة النشرة طنجة

قطرات..

• محمد إمغران

عيد عابر ككل سنة !؟

عيد التمريض في المغرب مناسبة سنوية ذات أهمية قصوى، حيث تم الاحتفـال بها، مؤخراً، تزامنا مع اليوم العالمي للتمريض. هذا اليوم ليس مجرد احتفال عابر، بل هو فرصة لتكريم وتقدير الممرضين والممرضات في جميع أنحاء المملكة والذين يتجند أغلبهم في الصفوف الأمامية، لتقديم الرعاية الصحية والعناية بالمـرضى والمحتاجيـن، بتفانٍ وجدية وإخلاص.

الاحتفال باليوم العالمي للتمريض قديم يعود إلى سنة 1965، عندما قررالمجلس الدولي للممرضين تخصيص يوم للاحتفاء بهذه المهنة الإنسانية النبيلة، بعد أن تبنت العديد من الدول حول العالم، بما فيها المغرب، هذا اليوم كفرصة مؤكدة للدور المحوري الذي يلعبه الممرضون في الأنظمة الصحية والمجتمعات.. ففي المغرب، يكتسب عيد التمريض أهميـة خاصة نظراً إلى التحديات الصحية المتزايـدة والأهمية القصوى لتوفيررعاية صحية شاملة وجودة عالية لجميع المواطنات والمواطنين. كما يمثل فرصة للتعبيرعن الامتنان العميق للممرضين إزاء جهودهم المضنية، خاصة في ظل الظروف الصعبة التي يواجهونها، مثل نقص الموارد أوالضغط الهائل في أوقات الأزمات الصحية وغيرها من الطوارئ الحياتية.

حقيقة، لايمكن تصور نظام صحي، ذي فعالية في أي بلد، بدون دورأساسي، تضطلع به الممرضات والممرضون، فهم ليسوا فقط مساعدين للأطباء، بل هم محورالرعاية الصحية، حيث يقدمون مجموعـة واسعة من الخدمات الحيويـة، المتجلية في تقديم العلاج والأدوية ومراقبـة العلامات الحيوية وتلبية الاحتياجات الأساسية للمرضى، توعيتهم وعائلاتهم حول كيفية الوقاية من الأمـراض وإدارة الحالات الصحية المزمنة، تقديم الدعم العاطفي لهم ولعائلاتهم في أوقات الشدة والقلق، الاستجابة السريعة والفعالة للحالات الطبية الطارئة وإنقـاذ الأرواح، فضلا عن التعاون مع الأطباء والصيادلة والأخصائيين الآخرين في إطارفرق متعددة التخصصات، لضمان تقديم رعاية شاملة ومتكاملة للمرضى. وتشبثا بالموضوعية، فإن هذا النوع من الممرضات والممرضين لايوجد بنسبة كبيرة وبنفس العطاء في جميع المستشفيات والمراكز الصحية والمدارس وحتى بعض أماكن العمل.. لكن لايمكن تجاهلهم بكليتهم أونكران دورهم الحاسم في تعزيز الصحة العامة والوقاية من الأمراض وتحسين جودة حياة المرضى.

بالمقـابـل وعلى الرغـم مـن الأهميـة المتزايـدة لدورالممرضين والممرضات في المغرب، إلا أنهم يعانون من إكراهات شتى ويواجهون تحديات جمة، يجب معالجتها، لضمان مواصلتهم في العطاء وتقديم أفضل ما لديهم من طاقات وكفاءات.

من بين هـذه التحديـات، هناك نقص الأعداد، بحيث تعاني العديد من المناطـق في المغـرب من نقـص في أعداد الممرضين المؤهلين، الأمرالذي يزيد من الضغط على العاملين الحاليين، إضافة إلى ظروف العمل المرهقـة وغيرالمشجعة التي يجب أخذها في الحسبان، بتحسين ظروف الاشتغال وتوفير بيئـات عمل صحية وآمنة وتقليل ساعات العمل الطويلة ولماذا لا توفير الدعم النفسي للممرضين والممرضات وتقديرهـم ودعمهـم مادياً، ثم فليحاسبـوا بعد ذلك على أي تقصير يصدرمن جانبهم ؟

خلاصة القول، لاينبغي أن يكون عيد التمريض بالمغرب عبارة عن احتفـال عابر، ككل سنة، في الوقـت الذي توجد العديد من المشاكـل الصحية الملحة التي تتطلب الحسم فيها، فالصحة مسألـة جادة، تهـم المواطنيـن المرضى والعاملين في «براثنها» على السواء.

الشمال ACHAMAL 2000
يومية جهوية وطنية تصدر مؤقتا كل أسبوع
الموقع الإلكتروني :
www.achamal.com
تصدر عن مطبعة جريدة طنجة

المدير المسؤول :
عبد الحق بخات
رئيس التحرير :
عبد اللطيف شهبون

هيئة التحرير :
محمد إمغران
أسامة الزكاري
رضوان احدادو
عبد الحي مفتاح
رشيد الحديفي
فدوى أحماد

التصفيف والإخراج :
«جريدة الشمال»
عنوان التحرير والمراسلات والتسويق والإشهار :
7 مكرر، زنقة عمر بن عبد العزيز - طنجة -

الإدارة والإشهار والعلاقات العامة :
محمد طارق بخات
الهاتف : 05.39.94.30.08 / 06.22.45.30.67
الفاكس : 05.39.94.57.09
البريد الإلكتروني :
info@achamal.com
achamal2000@gmail.com
achamaljournal@gmail.com

سحب من هذا العدد :
10 آلاف نسخة
التوزيع:
سبريس Sapress
الإيداع القانوني: 99/10
ر.د.م.ك:
I.S.S.N : 1114-1832

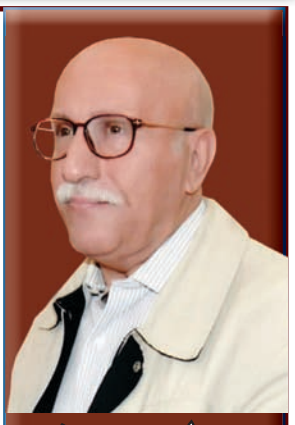

مصطفى حجاج

دردشة

جلسة ترحُّم ووفاء

أثناء اجتماعنا النصف الشهري بمنزل أخينا الباشمهندس السيد عبد السلام الركيك، اقترح علينا أخونا الفاضل المحترم السيد محمد الشنتوف، رئيس المجلس العلمي المحلي بتطوان، تنظيم زيارة ود وإخاء، وترحم ووفاء، لدار فقيدنا المرحوم برحمة الله، الأستاذ عبد القادر بن عجيبة، وقراءة ما تيسر من الذكر الحكيم، على روحه الطاهرة.

ونظرا لأن المبادرة، مبادرة طيبة، صادرة عن رجل طيب، وتستهدف رجلا كان معروفا بخصاله الطيبة، فقد اجتمع الرأي على تنفيذها في الحال.

وهكذا أجرى منسق جماعة الشيخ إسماعيل الخطيب، اتصالا هاتفيا ببنت المرحوم، فرحبت بالفكرة، واعتبرتها بادرة خير وبركة، ومظهرا من مظاهر الأخوة والمحبة، ورمزا للوفاء والمودة.

وبعد صلاة عصر السبت عاشر ماي 2025 دخلنا إلى منزل المرحوم، فوجدنا في استقبالنا زوجته الفاضلة السيدة عائشة بنت عبد العزيز بن عبد الوهاب، وابنتيها البارتين السيدتين زهور وزينب .

كانت لحظة لم نتمالك فيها أنفسنا، لأننا تعودنا أن يكون في استقبالنا بمدخل هذا البيت ، أخونا الأستاذ عبد القادر بابتسامته ، وصفاء سريرته، ودماثة أخلاقه، فإذا به يسلم الأمر لصاحب الأمر، ويترك الأمانة لأقرب الناس إليه، يتصرفن فيها بالتي هي أحسن.

ما أن أخذنا أماكننا، حتى افتتحنا جلستنا بقراءة فاتحة الكتاب وسورة الملك، ثم أخذ الكلمة السيد رئيس المجلس العلمي، فحمد الله وأثنى عليه، وصلى على نبينا الأمين، وشرع يدعو للفقيد العزيز، بالمغفرة والرحمة، ولعائلتة الكريمة ، بالصبر والمثوبة.

ثم طلب مني أن أضيف إلى دعواته، ما يمكن استحضاره في هذا المقام.

ورغم أننا اشترطنا على أصحاب الدار، «عدم التكلف» ، فإنهم أصروا على تقديم كؤوس الشاي، وما يناسبها من الحلويات.

رحم الله أخانا الأستاذ عبد القادر بن هشام بن عجيبة، وأنزله منزل صدق، مع النبيين أنعم الله عليهم من النبيئين والصديقين والشهداء والصالحين، وألهم أسرته الصبر والسلوان، وجزاها جزاء الصابرين، الذين إذا أصابتهم مصيبة ، قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون، أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة، وأولئك هم المهتدون. صدق الله العظيم.

من ذاكرتي الحقوقية..

• عبد اللطيف شهبون
abdelchahboun@hotmail.com

في ماي 1999 تلقيت أول دعوة من النائبة الأولى لرئيسة المرصد الوطني لحقوق الطفل الدكتورة أمينة المالكي التازي ومن الدكتور مصطفى دنيال المدير التنفيذي للمرصد لحضور الدورة السادسة للمؤتمر الوطني لحقوق الطفل برعاية سامية لجلالة الملك الحسن الثاني رحمه الله ورئاسة فعلية للأميرة الجليلة للا مريم حفظها الله.

كانت دورات مؤتمرات المرصد الوطني لحقوق الطفل مواعيد قارة لفعاليات حقوقية وقطاعات حكومية ومنظمات دولية لتدارس حصيلة الجهود المبذولة للنهوض بأوضاع الطفولة المغربية وتفعيل الاتفاقية الأممية ذات الصلة.

كنت معدّ مهتم بموضوع حقوق الطفل، وكان حضوري في هذا الحدث الوطني مناسبة لتعميق خبرتي في هذا المجال الحيوي ..

على مدى يومين كاملين بفندق هلتون بالرباط ناقشت مع المؤتمرين :

• تقريراً عاماً

• تقارير موضوعاتية في محاور :

ا - ملاءمة التشريعات الوطنية مع الاتفاقية الأممية لحقوق الطفل..

ب - الأطفال ضحايا سوء المعاملة..

ج - وسائل الإعلام وحقوق الطفل ..

د - الطفل والتشغيل..

ه - حق الطفل في الصحة..

و - تقويم حملة التعبئة من أجل تعميم التمدرس..

على هامش جلسات النقاش كانت لي جلسة إمتاع ومؤانسة مع الأساتذة:

• سعيد بكري

• المرحوم أحمد شوقي بنيوب

• فطوم قدامة

ساهمت في هذه الدورة الحقوقية بصياغة تقارير موضوعاتية وتدوين توصيات نالت حظها من تقويم إيجابي.

في مارس 2001 دعيت ثانية للمشاركة في لقاء دراسي بين فعاليات المجتمع المدني حول : الطفولة المغربية : الوضعية والأولويات..

تم اللقاء في مركز الاستقبال والندوات التابع لوزارة التجهيز بحي الرياض بالرباط .

أتذكر ان هذا اللقاء الحقوقي الهام انعقد في إطار :

• الإعداد للدورة الاستثنائية للجمعية العامة للأمم المتحدة المخصصة للطفل ، والتي انعقدت بنيويورك في سبتمبر 2001.

• التنسيق مع اللجنة الوطنية التحضيرية برئاسة صاحب السمو الملكي الأمير مولاي رشيد .

حضر هذا اللقاء الحقوقي ستون جمعية تمارس طوعيا تدخلات خيرية وخدمية ورعائية ودفاعية وتنموية..

كان لي شرف المشاركة في هذا اللقاء الاستراتيجي الهام وإعداد تقرير أولي/ موضوعاتي بوقائعه وحصيلة مناقشته..

إصداران جديدان

المرحوم محمد مفتاح
ذاكرة إنسانية وعلمية..

نظمـت مؤسسـة عبد الله كنون للثقافة والبحث العلمي ومركز أجيـال ملتقى البحرين للدراسات والأبحاث وبناء القـدرات بطنجـة التابـع للرابطة المحمدية للعلماء وكلية الآداب والعلوم الإنسانية بتطوان لقاء تكريميا للدكتور المرحوم محمد مفتاح يوم السبـت 12 ذي القعدة 1446 - 10 ماي 2025 بقاعة المحاضرات بالمجلس العلمي المحلي بطنجة بحضور جمع مبارك من العلماء والعالمات والأساتذة الباحثين من شفشاون وتطـوان وطنجـة وأصيلة والقصر الكبير والرباط..فضلا عن أبنـاء المرحـوم محمد مفتاح وأرملته وشقيقه عبد الحي.

بعد الافتتاح بآيـات بينـات من الذكر الحكيم تواتـرت كلمـات : د. محمد كنـون الحسني رئيس مؤسسة عبد الله كنون ود. الطيب الوزاني الشاهدي عميد آداب تطوان ود. عبد اللطيف شهبون رئيس مركز أجيال ملتقى. البحرين للدراسات والأبحاث وبناء القدرات بطنجة ود. عبد السلام شقور أستاذ الأجيال ود. مصطفى الزباخ مقرر أكاديمية المملكة المغربية ود.قاسم الحسيني أستاذ التعليم العالي بآداب الرباط ود. أحمد هاشم الريسوني رئيس شعبة اللغة العربية بآداب تطوان وذ. محمد بن يعقوب ود. مؤنس مفتاح نجل المرحوم، وقد أشـادت كل الكلمـات بالخصال الإنسانية والعلمية للمرحوم الذي كان قيد حياته في صدارة المهتمين بالدرس العلمي والأدبي الأندلسي، فذ الأسلوب والطريقة في بناء قـدرات البحث فيـه.. موجها مقصودا لأجيال من الجامعيين.. ومن الذين وقع الاجمـاع على فضلـه في مؤسسـات جامعيـة بالمغرب وخارجه..

ستعمل مؤسسة عبد الله كنون على طبع كلمات هذا الملتقى العلمي والإنساني الرفيـع قريباً بحول الله.

مئوية أولى للمدرسة الأهلية بتطوان 2/1

• د. الطيب أجزول

اختُتمت أشغال اليوم الأول من فعاليات الاحتفال بالذكرى المئوية لتأسيس المدرسة الأهلية بتطوان، وسط حضور وازن ومكثف، غصّت به قاعتا العروض والمختبر بالمركب الثقافي عبد الخالق الطريس (المدرسة الأهلية).

تميّز هذا اليوم بحفل افتتاح رسمي، حضره عدد من المسؤولين الإداريين والمنتخبين وفعاليات من أسرة التعليم، يتقدّمهم عامل الإقليم.

أعقبت ذلك مداخلتان علميتان قيّمتان:

• الأولى ألقتها الدكتورة حسناء داود بعنوان «الأستاذ محمد داود والمدرسة الأهلية».

• والثانية قدّمها الأستاذ عبد القادر الزيكاري تحت عنوان «المدرسة الأهلية التي في خاطري».

وقد أدار هذا اللقاء العلمي باقتدار الدكتور محمد خرشيش.

أما اليوم الثاني، فشهد مداخلتين علميتين لكل من:

• الدكتور امحمد ابن عبود في موضوع «مشروع النخبة التطوانية الثقافي: بين السياسة والثقافة».

• والدكتور عبد العزيز السعود بعنوان «معالم درست من تاريخ مدرسة وطنية». تولى تسييرها الدكتور عبد اللطيف شهبون.

جمعية قدماء المعهد الحر ومؤسسة محمد داود للتاريخ والثقافة تنظمان تظاهرة ثقافية بمناسبة «الذكرى المئوية لتأسيس المدرسة الأهلية بتطوان 1925 – 2025»

اليوم الأول (13 ماي 2025): ندوة حول المدرسة الأهلية

رئيس الجلسة: د. محمد خرشيش

مداخلة 1 = حسناء محمد داود

• مداخلة : حسناء محمد داود

«الأستاذ محمد داود والمدرسة الأهلية»

بسم الله الرحمن الرحيم، والصلاة والسلام على نبيه الكريم

السادة الأساتذة الأجلاء، السيدات الأستاذات الفاضلات، الحضور الكرام

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وتحية خالصة إلى اللجنة المنظمة لهذه التظاهرة الثقافية المتميزة، والتي يتم انعقادها وتنسيقها بتشارك بين جمعية قدماء المعهد الحر بمركب الأستاذ عبد الخالق الطريس (المدرسة الأهلية)، ومؤسسة محمد داود للتاريخ والثقافة. وذلك لتخليد الذكرى المئوية لتأسيس أول مدرسة عربية وطنية حرة بشمال المغرب، وهي المدرسة الأهلية بتطوان سنة 1925.

أيها الحضور الكرام، قد يتبادر إلى ذهن البعض سؤال يتعلق بالسبب الدافع لنا للاحتفال ولتخليد هذه الذكرى؟ ثم قد يتساءل البعض الآخر عن سبب اقتران اسم المدرسة الأهلية دائما باسم الأستاذ محمد داود بالذات؟

وسأحاول في هذا العرض المتواضع أن أجيب عن هذين السؤالين، مشيرة في أول الأمر إلى السبب الذي جعلنا نخلد هذه الذكرى، وننظم هذا التظاهرة؟

ولأجل ذلك، أرى من الواجب أن أشير أولا، إلى أن حدثا من هذا النوع، وبهذه الأهمية، لا شك أنه جدير بكل الاهتمام، بل ومستلزم لكل العناية والاحتفال والتخليد، ذلك لأنه يمثل حدا فارقا بين مرحلتين أساسيتين من تاريخنا، ذلك هو الحد الفارق بين مرحلة الركود والجمود والانغلاق، وبين مرحلة العمل والجد، والتنور بنور العلم، والانفتاح على العالم المتطور.

ومن هنا أرى أن الأمر قد يحتاج منا إلى وقفة سريعة نتبين من خلالها ولو باقتضاب، وضعية التعليم الأساسي أو الابتدائي في تطوان، قبل تأسيس المدرسة الأهلية، بل كيف كان هذا الوضع في عموم أنحاء المغرب في بدايات القرن العشرين وما قبل ذلك.

كان هذا التعليم قائما على أساس تقليدي عتيق، مكانه هو «المسيد» أو «الكُتّاب»، والهدف المقصود منه هو تحفيظ القرآن الكريم لا غير، وعنصراه الأساسيان هما: أولا: الفقيه المدرر، وبيده عصاه التي يهيب بها على تلاميذه، وثانيا: الأطفال – من مختلف الأعمار والإمكانيات والمستويات – الذين يجلسون متكدسين على حصير، وبأيديهم لوح خشبي يكتبون عليه الآيات القرآنية المعَدة للحفظ، وذلك بواسطة قلم من القصب يغمسونه في مادة الصمغ، ثم يغسلون اللوح بالماء بعد الحفظ، ليكتبوا عليه من جديد. كل ذلك مع غياب لكثير من مقومات الحفاظ على الصحة والنظافة والتهوية، وغير ذلك مما يتطلبه الموقف. وهي صورة – إن كانت ميزتها تكمن في الحرص على ترسيخ كلام الله العزيز في ذهن الأطفال قبل كل شيء، وذلك أمر محمود بالطبع – فهي مع ذلك، تفتقر إلى كثير من الجوانب التي يقوم عليها بناء الشخصية المكتملة للشباب الذين سيتحملون مسؤولية العمل على تحقيق بناء وازدهار الوطن الذي كان منكوبا بمصيبة الاستعمار الأجنبي.

وفي ذلك يقول ذ. داود في تقرير كتبه عن المدرسة الأهلية بتاريخ متم حجة 1343 الموافق لـ 21 يونيو 1925 م: « فإن مكاتبنا ويا للأسف، في غاية ما يكون من التأخر والإهمال، سواء من حيث مواقعُها التي لا تفضُل – ويا للخجل – على معاقل الحيوانات بشيء، سوى أنها مفروشةٌ بحصير ممزقة شر تمزيق، وقد سكنت بين طياتها حشرات، الله يعلم أنواعها وعددها، بل إن غالب تلك المكاتب – إن لم نقل كلّها – إنما هو عبارة عن بيت ضيق قليل النور، يحتشد فيه صغارنا، إخواننا، أفلاذ أكبادنا، رجال مستقبلنا، كقطيع من غنم، هذا يموج في ذاك، وذاك يئن من ازدحام هذا، ونحن نرى ونبصر، ولا من شفقة ولا من رحمة على أولئك الضعفاء الذين نحتم عليهم أن يقضوا زهرة شبابهم، وزمن تكون أجسامهم، في تلك المعاقل، وبين تلك الحيطان الباردة. فإنا لله وإنا إليه راجعون. ومن حيث المعارف، وأي معارف يا صاح نتلقاها في مكاتبنا؟ بل أي معارف عند ذلك الأستاذ حتى يلقننا إياها؟ كل ما لدى ذاك المدرر، أنه يحفظ كلام الله العزيز، بدون أن يعرف له معنى أو مرمى. فترى الشاب (أو الطفل) لذلك يدخل المكتب، وعمره نحو خمس سنين، وقد يبقى به خمس سنين، وقد يبقى به خمس عشرة سنة، وهو يقرأ القرآن الكريم، قراءة هي عبارة عن كتابة جزء من الكتاب العزيز، ثم محوه ثانيا، وهكذا حتى يصير رجلا، وقد يحفظ القرآن وقد لا يحفظه، زيادة على كونه لم يتعلم في ذاك المَكتب أي شيء من أمور دنياه أو دينه، حتى الطهارة والصلاة، فإن تعليمها ليس من وظائف الأستاذ عندنا، والأمر لله». اهـ (1) وكانت الفئة المتنورة من رجالات تطوان، تتحسر على هذا الوضع، إلا أنها لم تهتد إلى إيجاد الحل المناسب لتحسينه، إلى أن حلت سنة 1922، وهنا سأشرع في الجواب على التساؤل الثاني الذي طرحته في بداية هذه المداخلة، وهو سبب اقتران اسم المدرسة الأهلية باسم محمد داود على الدوام. فأقول: عاد الشاب محمد داود إلى تطوان في سنة 1922، وهو ابن إحدى وعشرين سنة، وذلك بعد دراسته بالقرويين في مدينة فاس لمدة عامين، فكان الهاجس الوحيد الذي يشغل باله، هو العمل على تنوير عقول الأطفال والشباب، وإطلاعُهم على العلوم الحديثة، وتعريفُهم بما يجري في العالم المتطور من أحداث، ومن أخذ بالوسائل المساعدة على الخروج من بوتقة الجهل والتقوقع، إلى عالم يسوده نور العلم والتطور، والأخذ بأسباب النهضة والتنمية والازدهار، وذلك بطبيعة الحال، مع الحفاظ على المقومات والمقدسات والثوابت التي تقوم عليها الشخصية المغربية القحة. عاد محمد داود من فاس، تلك المدينة التي كانت بها مدارس أنشأها الأهالي ممن لهم غيرة على الدين واللغة والتاريخ الوطني، مع توقهم إلى تكوين أبنائهم تكوينا عصريا حديثا يحققون بواسطته آمالهم وأهدافهم الوطنية، فكان حلم الشاب داود أن يحقق مثل ذلك في تطوان، وقد عُرف عنه أنه الشاب الطموح الذي يفكر ويخطط ويدبر، ويجتمع بنخبة أهل المدينة من الرجال العقلاء والحكماء وأصحاب الرأي السديد والإمكانيات المادية والاستعداد لبذل كل الجهود من أجل تحقيق المصلحة العامة، ويطرح عليهم أفكاره وآماله، فيؤيدونه ويعضدونه ويتضامنون معه.

وأملا في تحقيق هذه الآمال، شرع الشاب محمد داود بمجرد عودته من فاس، في إعطاء دروس خاصة في بيته لمجموعة من الأطفال، منهم عبد الخالق الطريس والطيب بنونة وعبد الكريم داود وعبد السلام زوزيو ومحمد بن مصطفى أفيلال. لكن حلمه كان أكبر، وهدفه كان أبعد، حيث كان يحلم بإنشاء مدرسة تضم أكبر عدد ممكن من الأطفال والشباب، حتى تعم المنفعة، ويتحقق الهدف. وذلك ما جعله يفكر في إمكانية تحقيق هذا الحلم، وهو الشاب الفتي الذي لم تكن لديه الإمكانيات اللازمة لتحقيق ذلك، لولا ما لقيه من التشجيع والتحفيز من طرف المجموعة الفاضلة من أبناء تطوان البررة، الذين كانت لهم من الغيرة الوطنية ومن الحماس الكبير، وكذا من الإمكانيات المادية، ما دفعهم للوقوف إلى جانبه في مبادرته، ودعمه بما يملكونه من إمكانيات مادية ومعنوية.

وحلت الشهور الأخيرة من سنة 1924، فكانت الاستعدادات على أشدها لتأسيس المدرسة الأهلية التي شرعت في أعمالها مع بداية سنة 1925. حيث اعتُبرت بحق هي الشرارة الأولى التي أعلنت عن ظهور المبادرات الوطنية الهادفة في شمال المغرب، بوصفها معلمة تعليمية ثقافية وطنية متميزة في ذلك الوقت الذي كان فيه العمل الثقافي والوطني عنصرين متلازمين متكاملين، لا يتيسر لأحدهما أن يأخذ طريقه إلى الأمام بدون الآخر.

وهنا سأسرد على حضراتكم فقرات وقفت عليها بخط الوالد محمد داود نفسه في هذا الموضوع، وهو يتحدث عن ظروف إنشاء المدرسة الأهلية حيث يقول:

«إنني ... منذ رأيت ما قام به إخواننا أهالي عاصمتي فاس والرباط وغيرهما، من إنشاء مدارس دينية علمية وطنية، هزتني وأيم الحق أريحية اضطربت لها أعصابي، أسفا على بلدتنا العزيزة، التي كانت إذ ذاك محرومة - ويا للأسف - من مثل تلك المدارس. نعم أسفت، وماذا يغني الأسف لولا فسحة من الأمل في المستقبل القريب مرت أمام عيني، فصرت أمني النفس بأننا سوف نؤسس بحول الله أمثالها، وأحسن منها إن شاء الله، ورجعت من فاس كما رجع قبلي وبعدي إخوان لي رأوا ما رأيت، وفكروا فيما فكرت. ابتدأتُ القراءة مع بعض تلاميذ نجباءٍ بصفة خاصة، فظهرت لي في أقرب مدة نتيجة ما كنت أنتظرها، وعلمت أن الكيفية التي كنت أقرأ بها مع تلك الفئة النشيطة هي أقرب الطرق إلى حظيرة النجاح، قوي إذ ذاك أملي في إنشاء مدرسة تكون طريقة التعليم فيها على نحو ما سلكت. سعيت تارة بالتصريح، وتارة بالتلويح، إلى إخراج الفكرة إلى حيز الوجود، فوجدت من الغير اشتياقا إلى نحو مبتغاي. الآن قوي الأمل، والآن قرب الأجل لتحقيق المتمنى. بقيت الفكرة تتدرج في مسالك، هي وإن كانت مختلفة، لكنها لا تلبث أن تظهر تارة وتختفي أخرى، إلى أن تقدم الفقيه الشريف سيدي مصطفى أفيلال حفظه الله، فأسس مدرستنا الأهلية، فكان ذاك العمل على قلوبنا بردا وسلاما. تذوكر معي في شأن القيام ببعض أعمال المدرسة، فلبيت لا بصفة كون تلبيتي استرزاقا – شأن كثيرين – كلا، فليس المراد ذلك أبدا، إذ لدي والحمد لله من الأملاك الخاصة ما يكفيني للعيش وعائلتي متوسطا كالأمثال، ولكني وافقت بدون شرط – وقبل أن أعرف وظيفتي وعملي – دفعا لما عسى أن يعرض لذلك المشروع الحميد من العراقيل، فيما لو رفضت الطلب..»(2). اهـ.

هكذا إذن نستنتج من كلام ذ. محمد داود أنه إذا كان هو صاحب الفكرة والمشروع، إلا أنه يعترف بأن الفضل يرجع أيضا إلى غيره ممن أيد تلك الفكرة ونفذ ذلك المشروع، وذلك ما يفهم من تصريح له يقول فيه: «وإني، وإن كان بعض الناس ينسبون إليّ الفضل الأكبر في هذه المؤسسة العمومية، فإن الحقيقة أن الفضل في مثل هذه المشاريع، لا يعود لفرد واحد، لأن الشخص المنفرد لا يستطيع أن يقوم بأي عمل مفيد، إلا إذا وجد من يساعده على ذلك، ووجد في الوسط استعدادا لقبول أعماله، وما الوسط إلا أهله الذين يؤيدون أو يخذلون. فالفضل في مثل هذه المشاريع يرجع إلى جميع الذين شاركوا فيه بكثير من الأعمال أو قليلها، لا فرق بين الظاهرين منهم والمخفيين». اهـ

والحقيقة أن ذ. داود الذي عين عند تأسيس المدرسة الأهلية مديرا داخليا لها، إنما كان يقوم بدور المدير والمنظم والمدرس والمنشط ورئيس النادي الثقافي الذي أحدثه فيها(3)، فكان هو العقل المدبر، وقطب الرحى بالنسبة لتلك المؤسسة الفتية التي كانت في حد ذاتها أول تجربة من نوعها في تاريخ الحقل التعليمي بمنطقة شمال المغرب. يقول ذ. داود في بعض أوراقه وقد مر على تأسيس المدرسة أكثر من سنة: « السبت 11 شوال 1344 هـ 24 أبريل 1926 م: ... قد نظمتُ جميع أعمال المدرسة في الإدارة وفي النادي وغيره، حتى أصغر الأشياء، وأنا الآن والحمد لله مرتاح لأحوالها غاية الارتياح، وبعبارة، أثبت هنا أنني المدير الحقيقي والآمر المطاع فيها بدون منازع، والملك لله وحده. وقد أنزلت بالنادي (مجلات) الهلال والمقتطف والمنير، وكتبا علمية مختلفة، وعملت به طاولة للكتابة وما يتعلق بها، كما اشتريت مسامير للألواح وقلتين للماء وغير ذلك، وبالجملة، فقد قمت بكل ما يجب للمدرسة والحمد لله والشكر لله».

ومما هو جدير بالذكر أيضا، ونحن نعرض أهم الخطوات التي تبرز لنا أهم ما اعتمدته إدارة المدرسة الأهلية لنجاح سيرها، أنها قد هيأت لنفسها قانونا أساسيا ضم أسماء المؤسسين (4)، وأهم ما ينبغي الالتزام به لتسير المدرسة سيرا ناجحا. على أساس أن تشمل إدارتها أربعة أشخاص رئيسيين يتحملون أعباء تسييرها، وهم: المدير الخارجي – والمدير الداخلي – وأمين الصندوق – والكاتب. على أن يقوم كل هؤلاء بوظيفتهم هذه بصفة مجانية. كما ضم هذا القانون جداول تفصيلية للحصص الأسبوعية بأسماء المواد والأساتذة والكتب المقررة وعدد الدروس حسب المستويات من السنة الأولى إلى السنة الرابعة.

ويطيب لي بهذه المناسبة أن أعلن لكل المهتمين بموضوع المدرسة الأهلية بالخصوص وكذا موضوع التعليم بمنطقة الشمال على وجه العموم، أن الخزانة الداودية تحتضن بين محتوياتها ملفات ووثائق تتعلق بالموضوع، وقد عمدنا إلى نشر مجمل ذلك في إطار المعرض الذي تم إعداده بالموازاة مع أعمال هذه التظاهرة المباركة في هذا المركب المبارك.

ولعله من الطريف هنا أن أشير – قبل اختتام هذا العرض – إلى أن هذا المقر الذي نعقد فيه اليوم هذه الذكرى بصفته كان مقرا للمدرسة الأهلية، إنما كان هو المقر الثامن لهذه المدرسة، حيث لم تنتقل إليه إلا سنة 1937. بعد أن استقرت قبل ذلك في سبعة مقرات هي كالتالي:

المقر الأول بدراز في حي الصياغين.

المقر الثاني بدراز آخر قريب منه.

المقر الثالث في دار السيد عبد الكريم اللبادي بشارع الساقية الفوقية.

المقر الرابع بدار حُبُس بريشة بشارع المطامر.

المقر الخامس بدار السيد ابن عبود بحي الملاح البالي.

المقر السادس في مبنى جديد بحي الملاح البالي أيضا.

المقر السابع في مبنى جديد بروض الشرتي بين باب العقلة وضريح سيدي السعيدي.

المقر الثامن = البناية الحكومية خارج باب العقلة (وهو هذا المقر الذي نتواجد به الآن). ومن الجدير بالذكر أن الحكومة والسلطة الإسبانية كانت قد حاولت بتسليمها لهذا المقر إلى المدرسة، أن تتدخل في أمورها، حيث صدر ظهير بالجريدة الرسمية يقضي بتسليم هذا المقر للمدرسة الأهلية سنة 1932 (5)، ولكن بشروط معينة، إلا أن ذ. داود أعلن عن موقفه في كونه لا يقبل انتقال المدرسة إلى هذا المقر مع تلك الشروط المفروضة، حيث اشترط شرطا لا يتم قبول المقر المذكور إلا به، وذلك ما يمكن استنتاجه من قوله في إحدى أوراقه التي كان يعدها لكتابة مذكراته «على رأس الأربعين»، حيث يقول: «عن المدرسة الأهلية والحكومة: وحاولت الحكومة أن تجذبها بالتداخل في شؤونها، فقررَتْ أن تمنحها البناية التي شيدتها أمام باب العقلة، ودعتني لزيارتها، فذهبت صحبة صديقنا الكبير سيدي الحاج عبد السلام بنونة، والكاتب العام للحكومة السنيور منطسينو، ودرنا في أقسامها، فوجدناها أحسن ما كان موجودا من نوعه في ذلك التاريخ، وعرض عليّ الكاتب العام أن تنتقل إليها المدرسة الأهلية، وحبذ لي ذلك الحاج عبد السلام رحمه الله، فقلت: نقبل بشرط أن لا يكون لأي هيئة من الهيئات الحكومية تدخل في شؤون المدرسة، فقال الكاتب العام: يكون خير. ومضى كل واحد لحال سبيله. وبعد بضعة أيام، استدعاني مفتش التعليم، وكان إذ ذاك هو السنيور – أظنه – شاكون الإسباني، وعرض عليّ نسخة من الظهير أو القرار الذي صدر بمنح البناية المذكورة للمدرسة الأهلية مع مفاتيحها، وقال لي: ها هي المفاتيح ...، خذوها ويمكنكم الانتقال إليها في أي وقت شئتم. فقرأت القرار، فإذا فيه أن الحكومة تحتفظ لنفسها بحق تعيين الأساتذة وعزلهم، فاستغربت من ذلك وقلت له: ما هكذا كان الاتفاق بيننا. فأجابني بأنه لا يعرف عن ذلك شيئا، وأنه إنما ينفذ ما أمرته الحكومة بتنفيذه، (قال) وإن كان لك كلام فقله لي، وأنا أبلغه للمقامات الرسمية. فقلت: إنني كنت اشترطت لانتقال المدرسة الأهلية إلى هذه البناية شرطا واحدا، هو أن لا يكون لأية هيئة من الهيئات الحكومية تدخل في أي شأن من شؤون المدرسة، وأنا لا زلت مصرا على هذا الشرط، وبما أن في هذا القرار ما يخالف ذلك الشرط، فأنا لا يمكنني أخذه ولا قبوله. فأخذ يحاول ردي عن فكرتي بأوجه شتى، وأخيرا قلت له: أما أنا، فإن محاولاتك معي إنما هي عبث، ولكن للمدرسة مجلسا استشاريا سأعرض عليه الأمر، فإن قرر قبول ذلك، يكون للمدرسة شأن آخر». اهـ وقد أصر ذ. داود فعلا على رأيه، حيث توقف تسليم المقر المذكور في ذلك التاريخ (سنة 1932) ولم يتم انتقال المدرسة إلى هذا المقر إلا في سنة 1937، أي بعد مغادرة ذ. داود لإدارة المدرسة سنة 1936، حيث كانت المدرسة حينذاك تحت إدارة الأستاذ محمد المكي الناصري. وقد سجل ذ. داود في مذكرته الخاصة ما يلي: «يناير 1937 = قعدة 1355. سلم النائب بيكبيدير مدرسة باب العقلة للمدرسة الأهلية بإدارة المكي الناصري. وانتقلت المدرسة لهذه البناية الحكومية في ذي الحجة 1355 ـ فبراير 1937».

هكذا عمل الأستاذ محمد داود قد عمل على خلق وتأسيس هذه المدرسة، وقد كافح من اجل إعطائها تلك الصبغة القانونية وذلك الطابع التنظيمي الهادف إلى جعلها مؤسسة تكوينية وطنية نافعة، وأنه قد أعطاها من جهده وإمكانياته ما كان في استطاعته أن يعطيه، وذلك لمدة تبلغ اثنتي عشرة سنة (1924 – 1936)، إلى أن ارتأى أن يغادرها ويسلم إدارتها لغيره ممن تولى أمرها، حتى تتابع مسيرتها التي حققت الكثير بفضل من الله وبعون منه.

شكرا على إنصات حضراتكم وتتبعكم. والسلام عليكم ورحمة الله.

1925-9-8

تم تأسيس نادي لطلبة المدرسة الأهلية، و قرروا بالإجماع إسناد الرئاسة لمديره الأستاذ محمد داود.

الواقفون: أحمد مدينة – امحمد الدليرو – مصطفى الخطيب – امحمد بنونة – أحمد زرقيق – أحمد الخطيب – محمد بن الابار. الجالسون: محمد الخطيب – محمد أفيلال – محمد داود– الطيب بنونة عبد السلام بن جلون. الصف الأمامي: أحمد الوارث – محمد العربي بن جلون – امحمد مدينة.

هوامش :

1 - «على رأس الثمانين» – حسناء محمد داود – منشورات جمعية تطاون أسمير – تطوان (1432 = 2011) - ص 54.

2 - محمد داود، مسودة رسالة منه إلى المدير الخارجي للمدرسة الأهلية (سيدي مصطفى أفيلال) بتاريخ 5 قعدة 1343 هـ. (28 ماي 1925 م).

3 - كان هذا النادي الثقافي سبقا لم يُعرف له مثيل، ذلك أنه كان يتضمن محاضرة أسبوعية يقدمها ذ. محمد داود كل يوم أربعاء، بالإضافة إلى ما كان ينعقد به من الجلسات الأدبية والمناقشات حول الصحافة والتدريب على الكتابة والخطابة، كما تم بهذا النادي تأسيس جمعية لإحياء الفنون أطلق عليها اسم «جمعية نهضة الفنون الجميلة» في فبراير 1926، إلى جانب تأسيس جمعية تعنى بجمع الصور أطلقوا عليها اسم «جمعية إحياء الصور التاريخية».

4 - وتضم هذه اللائحة 31 اسما، وهذه أسماء هؤلاء الأفاضل: العلامة القاضي الحسن أفيلال – مصطفى أفيلال – محمد بن محمد اللبادي – علال الخطيب – محمد السلاوي – محمد المؤذن – عبد السلام بن عبود – محمد الخطيب – الحاج أحمد الخطيب – عبد الكريم بن عبد الغفور اللبادي – أحمد بن محمد مدينة – محمد داود – عبد السلام بناني – الحاج عبد السلام بن العربي بنونة – الحاج العربي العطار – أحمد الصفار – محمد الفتوح – عبد الرحيم مدينة – محمد بن جلّون – العربي الدليرو – أحمد بن عبود – عبد السلام حجاج – محمد بن الحاج أحمد مدينة – عبد الله بن أحمد الوزاني – الزبير سكيرج – محمد بوهلال – عبد السلام الفاسي – علال عزيمان – أحمد بن التهامي أفيلال – محمد بن أحمد بنونة – محمد المسفيوي.

5 - يوجد نص هذا الظهير باللغة الإسبانية ضمن الوثائق المعروضة في المعرض المنعقد بهذه المناسبة.

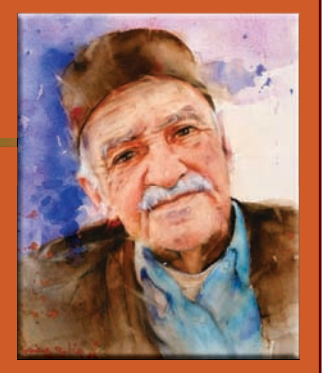

عبد الكريم الطبال

من الذاكرة

سبحانك ربي

لست أدري

كيف ولماذا

عشقت الكلماتْ ؟

هي معي وأنا معها

ربما

كان البدءُ

يوم قرأتُ :

إقرأ باسم ربكْ

ومنذ ذاك الأمر

وأنا ألبّي الأمرْ

تُشُورٌ تَرْحَمُ المَشْهَدَ

• أحمد بنميمون

280 ـ الصِّحةُ أجنحةٌ

" الصحة تاج"

لكِنْ أنِ ترغب نفس خادعةٌ

في ما ليس بمُكنتها يُعمِيها

يوقعها وهمٌ

يجذبها وهي ترى ما لا تدريه

في أسوأ ما يُسردِيها

الصحة يا قدمي أجنحة أقوى

لكن إن لم يُسعفْها قَلْبٌ

يَدفعها ويمغنِّيها

تغدو أدنى من أيّ حذاء

فوق ثرى مكروبٍ

يَسلتَفُّ على قدَمٍ يترثيها

****

281 ـ ما مآلنا؟

اليوم 2099/09/09 وحياتنا الاجتماعية وأحوالنا السياسية ومستوياتنا الثقافية على ما هي عليه من تخلف وقلق، وتدنٍّ وانحدار، وصعف وغموض مستقبل، أستسلم إلى التساؤل عما سيؤول إليه كل ذلك ، وما ستصبح عليه صورتنا الاجتماعية والسياسية والثقافية يوم 2099/09/09. وهل ستكون لغتنا العربية جارية على الألسنة ، أم أنها ستصير إلى الاندثار التام ولن يتداولها إلا المختصون على نطاق ضيق ورجال الدين؟ وكيف سيكون مآل الكائن الإنساني من أبنائنا؟

كنا نأمل دائماً عن حق ، أن ارتفاع مستوى عامة أفراد شعبنا فكرياً ، لن يتم إلا من خلال ارتفاع مستواهم التعليمي ، وما يمكِّنهُم ذلك من توسعة آفاقهم على جميع المستويات، وذلك كفيل بتقدم لغة الحديث بينهم، والعكس صحيح، فما نشهده اليوم ليس إلا صورة عن انحطاطنا ، الذي هو أثر من آثار فقرنا ونومنا وتأخرنا عن صفوف الأمم المتقدمة، ولقد كنت دائما ، وما زلت، أذكر تلامذتي أن ليس الانحطاط إلا احتقاراً للذات. في الوقت الذي لا يمكن أن نخطو قليلاً أو كثيراً، في اتجاه التقدم ما لم نعتز بهويتنا وذاتنا ، وقد عرفت فرنسا الغاشمة أين تضرب حصان عربتنا ، فقد بدأت بالتصويب نحو رُكَبه، لشل حركته، قبل أن توجه الرصاصة الأخيرة إلى رأسه ، فهل نفطن إلى ذلكَ قبل فوات الأوان؟

****

282 ـ دعاء شعري

يا ليلُ رَوْعَ الحربيه

لا تترك لعينٍ أن ترى

وجهي هنا مدحورا

يا ضوءَ شمسي

إن غرُبْتَ فلا تدَعْ

زهْري على الشطآن منثورا

ربطتني بحسن الدردابي علاقة صداقة استثنائية جدا. أتذكر أنني خصصت إحدى أعداد المجلة التي كنت أصدرها في بوسطن (بين 2010 و 2015) ملفا خاصا به بعد أن بلغني نبأ وفاته. كان رحيله صدمة لي.. أحسست يومها بمرارة الأقدار حين تخون الفرد وتسير في اتجاه معاكس لأحلامه.

عدت إلى العدد الذي خصصته لحسن فوجدت أنني نشرت له نصوصا تحمل عنوان «رسائل إلى امرأة باذخة» دون أن أتذكر كيف حصلت عليها بالضبط. أتذكر، فقط، أنه ألح علي في آخر اتصال هاتفي، وكان رفقة سلوى المجاهد، أن أسلمه رسائله لأنه ينوي نشرها، دون أن يحدثني عن مصير رسائلي التي كنت أبعثها له حين كان في السجن. لكنني أتذكر أن أحد أصدقائه كان أرسل لي رسالة على إيميلي يطلب مني أن أبعث له رسائله التي كنت تركتها في المغرب.

لاشك أن هذا الصديق هو الذي بعث لي بهذه النصوص التي أتقاسمها مع قراء الشمال اليوم، في انتظار أن أنشر بعضا من رسائل حسن الحابلة بأحلام الحرية والفن وصخب الأدب والفلسفة !

«رسائل إلى امرأة باذخة»

حسن الدردابي

تذكرتك البارحة وأنا أشرب نخب الحب مع صديقة يونانية. تذكرت لقاءاتنا تحت شجر الصنوبر حيث كانت شفاهنا تلتقي وتحترق ليولد منها رحيق الألهة، تذكرت لقاءات الطفولة حيث حبنا البريء ونحن نلعب في جنان حيث مباهج الطفولة والنساء العاشقات. تذكرت سفرنا إلى فنيسيا شبه الغريقة لكن الفاتنة، تذكرت عناقنا على ضفاف السين وخوفنا من صعود برج إيفيل، تذكرت زياراتنا للمقاهي الجميلة حيث كتب سارتر «الوجود والعدم» وحيث اكتشف النمش الخفيف على وجنتي دي بوفوار...

تذكرتك الأن وأنا أتأمل قدري الرهيب مع مواجع لا تنتهي، فقررت أن أحبك إلى الأبد.

إن النوارس تهتف باسمك هذا الصباح والنخل يرقص من أجلك بقطرات مطر خريفي يستعصي على الوصف يقول منيف يسقط المطر إلى أنا.

****

أحب المطر وأحبك، تذكرت هذا الصباح رقصتنا الفاتنة ذات مساء خريفي على ضفاف المتوسط، ونحن عراة تحرسنا إرادة اللّه. من زيارة غير متوقعة من البحر للقساة.

تذكرت كيف نمنا كطفلين ثملين من البحر والحب واستعرناها من حانة قريبة .

وعندما أفقنا في الصباح وجدنا أنفسنا محاطين بنساء جبليات جئن إلى الضريح قرب البحر يجلبن الحظ لامرأة خانها الحظ. يغطوننا بمناديل قروية حمراء، اللون الذي يفتنني؛ أخاف أن أرتكب جريمة إذا رأيتك مرة أخرى تلبسينه .

في تلك الحجرة المطلة على الفراغ وعلى غار أسطوري يحمل اسم كهف الحمام حيث يصب شلال رهيب حيث عشنا أجمل الأيام.

أتذكر كيف قرأنا رواية عشيقة وعشنا معها لحظات العشق والجنون على إيقاع موسيقى تشايكوفسكي...

أتذكر جنونك بعدما أنهينا قرأة الرواية وأنت تعضينني في منابت الروح وأنا أضحك كطفل يدغدغ للمرة الأول في حياته.

كم كنت رائعة تلك الليلة. وكم عشقتك.

****

مساء حزين يذكرني بأيام المنفى بسجن طنجة حيث قضيت أجمل سنوات العمر بعيدا عنك أناجي طيفك وأحلم بلون عينيك بتفاصيل جسدك، بيديك السحريتين بأنامل قدميك الرقيقتين بنهديك البلوريتين.. بجرحك السري يذوب الزحام وتختفي الأسرار، بلون بشرتك الذهبي .. بكل شيء فيك.

أتذكرك تداعبينني وأنا أرقص كطفل مشاغب لا يريد أن يخرج من زمن الطفولة.. حيث الجنان والحنان والافتتان.

تعرفين أني عاشق كبير لدى أخطأت في حقك وكما تعرفين فالعشاق الكبار هم الذين يخطؤون دائما أنا لا أبرر الأن ما فعلته. لكني أحس بحزن عميق وأعرف تراجيدية هذه الحيات وما تخبئه من مفاجأت لم نتوقعها.

****

في الأمسيات الباردة كان لون عينيك يدفئني ويحميني من التعب و قسوة الزمن وكان صوتك الناعم يحيي مسام الروح وكانت قهوتك التي تعدينها بأناقة درويش تقتلني درويش الذي سمى القهوة عذراء الصباح الصامت وتسأل كيف تبدع يد لا تعد القهوة.

صباح آخر أتأمل الأن طفلا يلهو قرب البحر، نورسا يلتهم سمكة، أتأمل شروق الشمس وطلعت هذا الشيخ السبعيني يجر شباكا تكاد تكون فارغة من السمك. أتأمل عينين فاجرتين تطلان من نقاب أسود بلون الجريمة، تساءلت وأنا حزين لماذا يحجب هذا الجمال ويغطى بكثافة الموت .

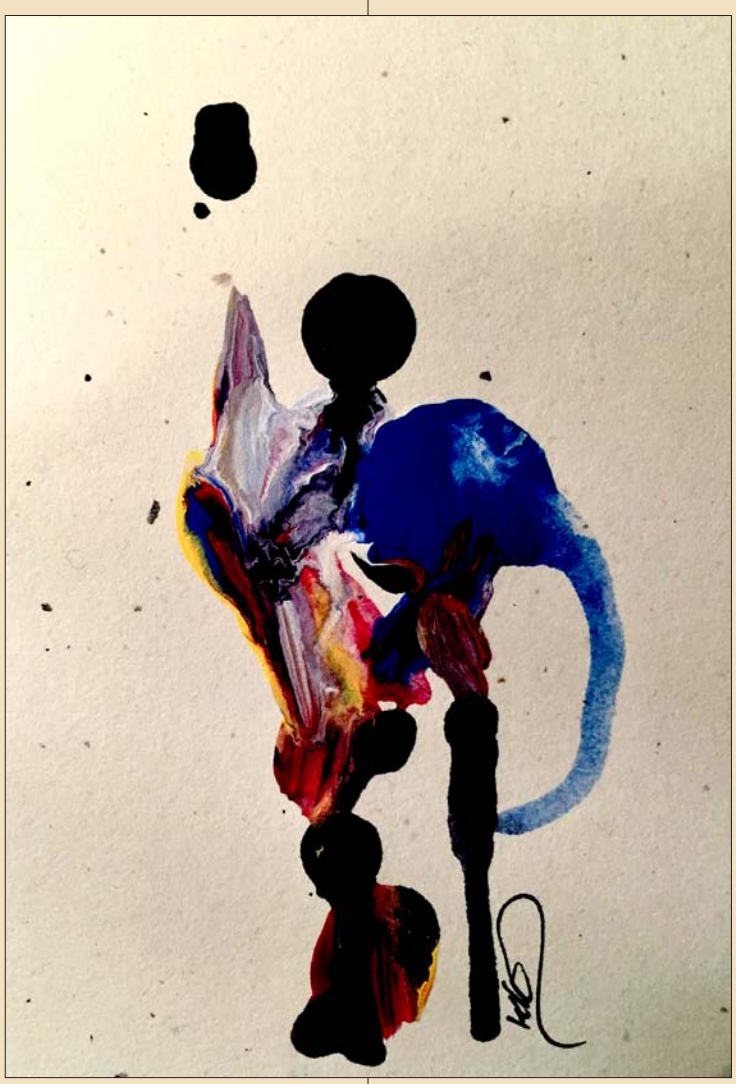

****

هذا الصباح أعدت قراءة رائعة لورنس عشيق اللايدي شترلاي وكنت قد قرأتها في السجن عندما وجدتها بين يدي شيخ كولومبي. يحب شعر نيرودا... فأخذتها منه غير مبال باحتجاجه لأنه لم ينهيها وقرأتها في ليلة واحدة. كم فتنتني الرواية، جعلتني أحلم في شتاء غبيلة الحزين. وكم أحببتك. كما أحببت عاشق نيرودا الذي وفر لي الرواية الفاتنة. وأهداني دون أن يدري متعة لا تعوض.

أرى فراشة بديعة تحوم حولي فأتفاءل بيوم أجمل مما مضى من الأيام.

تذكرت مساء ذلك اليوم الدافئ الذي دفنا فيه أنا وأخي حجاب الحب تحت تراب منزل الحبيبة كتبه لنا فقيه متخصص في تقريب المحبين.

تفاحة تسأل البائع الشاب عن ثمن التفاح.. من يشتري من..؟

تفاحة في عمر الورود تبتسم للبائع الشاب الذي يرتبك.. فيبيعها التفاح بنصف ثمنه.. ـ من الرابح ـ

تذهب التفاحة، يتبعها البائع الشاب فيختفيان في الزحام .

صباح لأوراق العشب، صباح لوالت ويتمان ولطيف المتوسطية الذي لم يفارقني في الحلم ولأجواء رواية ماركيز يوميات يوم معلن لطفل يتيم يتحدث عن طائرة هاربة عن القرنفل الذي تألق في حديقتنا هذا الصباح. في بار قرطاج كنت أجلس قربها ألمس شفاهها بجنون في غفلة من صاحبة البار الذميمة التي تعد المال بجنون، وكنت أسرق منها قبلات نارية ألتهم فيها شفتيها النديتين وفجأة تأملت ساقيها البديعتان. سيقان عارية إلا من زغب خفيف تستحيل رؤيته في غبش ليل الرباط الحزين. سيقان أطلسية تدعو للجريمة فكدت أجن في المكتبة المطلة على المتوسط وجدتها شبه عارية، اشتهيتها كما يشتهي الشيطان الشر. تعمدت أن تزور المكتب لتختلي بصاحبها الذي لم يكن سوى أحد أصدقائي القدامى التي كانت تخونني معه عندما أسافر لبرشلونة للعمل أو ألقي إحدى المحاضرات في بروكسيل أو باريس. كنت أعشق شغبها لكنها كانت تتمنع علي..».

دراساتٌ في الشِّعْر المَغْرِبي
بوادرُ التَّجْديد في الشِّعْر المَغْرِبي المُعَاصِر

• د. عبد الجبار التهامي العلمي

لم يكن الشاعر المغربي المعاصر معزولاً عن التطور الذي كان يعرفه شكل القصيدة ، بل إنه كان مواكباً لهذا التطور، ويدلو بدلوه في هذا المجال ، بلْ كثيراً ما كانَ يدفعه نزوعُه إلى التجديد وميلُه إلى التميز إلى الخروج عن التقنينات التي يضعها بعض النقاد والمنظرين كما هو الحال بالنسبة لخروج الشعراء المغاربة في كتابتهم للموشح عن التقنينات التي حددها ابن سناء الملك في كتابه « دار الطراز» (1). ويقول الأستاذ عبد الرحمان طنكول : « إن الشعراء المغاربة أدركوا منذ الخمسينيات ضرورة رفضَ التقليد الحَرْفي للنماذج التقليدية. وتَرَكَ الدَّظْمُ على الشَّطرين واستعمالُ القافية الموحدة ، والخضوعُ لبحر معين ، مَكانَهُ لأشكال أكثرَ حريةً ، متقنةً من الداخل بانسجام الإيقاع والتوازي النحوي وتضاد الصور» (2). وقد توصل د. محمد عليّ الرباوي إلى نتيجة مفادها أن حضور القصيدة ضعيف جداً في شعر الشعراء المغاربة : عبد الكريم بن ثابت وعبد المجيد بن جلون وإدريس الجايي « لأن هؤلاء الشعراء هم أقطاب المدرسة الرومانسية في الشعر المغربي ، وهي أكثر تمرداً من المدرسة نفسها الممثلة من قبل الشعراء المشارقة » (3) وذلك لأن نسبة حضور الأشكال الشعرية المختلفة تطغى في شعرهم على نسبة حضور القصيدة ، وأن نسبة هذا الحضور ، تفوق نسبتها عند أغلب الشعراء الرومانسيين أمثال سيد قطب والشابي وعلي محمود طه وحسن كامل الصيرفي وإيليا أبي ماضي وإبراهيم ناجي. بل إن هذا الحضور للأشكال الشعرية التي أخذت تزاحم القصائد في دواوين الشعراء الإحيائيين، برزت بشكل« يبدو غريباً » عند أحد شعرائنا المغاربة الذين ينسبهم بعض الباحثين المشارقة إلى التيار الإحيائي التقليدي هو الشاعر علال الفاسي. ويرى د. محمد علي الرباوي أن الحكم بانتماء بعض الشعراء المغاربة إلى مدرسة شوقي هو حكم مجانب لجادة الصواب، فهو دليل على أن الدارسين المشارقة لا يعرفون الشعر العربي بالمغرب، ويؤكد اعتماداً على ما انتهى إليه من معطيات إحصائية أن السلفية المغربية « رحبت بتجربة شعر التفعيلة، بل مارست الكتابة مبكراً على شكلها كعلال الفاسي وعبد الله كنون ». على حين أن العقاد رفضها على الرغم من أنها تجربة استفادت كثيراً من تنظيراته .(4) والحقيقة أن الشاعر المغربي عبر عن ضيقه وتبرمه بقيود نظام القصيدة العمودية في وقت مبكر، وقد بدا أكثر وعياً بمفهوم الشِّعر الحقّ ، فلم يعد الشعرُ عنده هو النظم الخالي من أي روح ، ولم تعد وظيفته عنده هي المدح والعتاب، بل أصبح الشعر عنده رسالة ومسؤولية ، وتعبير عن الشعور، ووسيلة لتحريض الشعوب من أجل النهوض من كبوتها لمواجهة الاستعمار واستشراف آفاق الحرية والتقدم . والنموذجان الشعريان التاليان يؤيدان ما سبق أن ذكرنا :

نموذج: 1 ـ يقول : عبدالله كَنون (5):

نقيِّد (بالوزن) أشياءَنَا لتبقى مقطَّعةَ السَّلسبيل
ونغرقها في (بحارِ يَنبعَ) ولم تجن شيئاً ولم تَنتسِب
فتنغمرُ مِنَّا ومن قرنِنا نفورَ السَّليم من الأعرب
.....
وما الشعرُ إلاَّ حديثُ النفوس وسجعُ الحمام على القضُب
وروح لإفهام مَن عزَّ الحياةَ على ألسن الشعرا النَّحَّب
.....
وكمْ من شعوبٍ نهَضَتْ ونالتْ مُنَى الأرَب
فليس الكتابةُ سوقَ الكلام بدون اختيار ولا مذهب
ولكنَّها سِرُّ الخلود ونبضُ الوجود وودة الحبيب

نموذج:2 ـ يقول : محمد المختار السوسي(6) :

ما الشعرُ موزونٌ بقافيةٍ له معنى بأسماع الجليس سديدُ
لكنما الشعرُ الذي إنْ يمالِ في الأسماع يذهبُ بالغثا ويعودُ
ويرنُّ أشياءَ الضَّمير رنينَةً نغماتِها يحسَى بها الموءودُ
فيثير مكنونَ الضمير كأنَّهُ وحيٌ منَ أكناف السماء بعيدُ
.....
ويبثُّ روحاً في الشعور فتَنْثني سِماداً إلى عليائها وتسودُ
هذا هو الشعرُ الذي أختارهُ ويروقني وأوَدُّهُ وأريدُ
مثلَ الذي يَشدو به(عَلال) في فاسٍ وينشرُه الأديبُ (العيدُ) (7)

فثمةَ إذن محاولاتٌ مبكِّرة للخروج عن الشكل القديم ، والمضامين المألوفة ، وثمة وعي مبكر بمفهوم الشعر الحق ، ووظيفته المؤثرة .

ويشير عبد الله كَنون إلى الهزة العنيفة التي حركت الشعر المغربي المعاصر ، حيث أنها أحدثت فيه تغييراً إن على مستوى الشكل أو مستوى المضمون:

أ ـ فعلى مستوى الشكل : أصابَ هذا التغييرُ « بنيانه من القاعدة ، فكان الشعر الحر والشعر المنثور فضلاً عن اندفاع الشعراء في العمل بمنتهى الحرية طبق المخطط الذي وضعه الأندلسيون من نظم قصائدهم على أكثر من بحر وبمختلف القوافي » (8).

ب ـ وعلى مستوى المضمون أو المحتوى ، « ظهرت فنون من القول وصور من البيان لم يكن للشعر العربي عهد بها كالشعر القصصي والتمثيلي ، وامتد النَّفَس في وصف الطبيعة والتعبير عن أدق المشاعر الإنسانية والعواطف القلبية ، واختفت الموضوعات الشعرية القديمة أو كادت ، وما بقي منها لاقتضاء المناسبات الاجتماعية ، صار وسيلة لبث الأفكار الإصلاحية وبث الروح الوطنية»(9). والحقيقة أن إرهاصات النزوع إلى تبني أشكال شعرية مغايرة للشكل العمودي، برزت لدى العديد من الشعراء المغاربة الذين يحتل بعضهم مكانة بارزة في فضاء الشعر المغربي المعاصر . وأبرز هؤلاء الشعراء علال الفاسي الذي كانت له محاولات مبكرة (10) يعود بعضها إلى العشرينيات والثلاثينيات والأربعينيات ، خرج فيها عن الشكل العمودي، واستخدم أشكالاً متنوعة يتم فيها التنويع في نظام الأبيات وفي نظام التقفية ، فقد استخدم الشاعر شكل المربع وشكل المخمس وشكل الموشح ، بل إننا نجده قد بنى قصيدة بعنوان « النجوم » (11) على أساس شبيه بالشعر الحر. وسنتوقف عند هذه القصيدة لنبرز بعض ملامح التغيير التي أحدثها الشاعر في الشكل الشعري القديم في محاولاته الخروج عنه، والانفلات من قيوده. فهو يستخدم في هذه القصيدة أسطراً غير متساوية ، يتغير عدد التفاعيل في بعضها ، فيتم الاكتفاء بتفعيلة واحدة في السطر(النجوم/ فاعلاتْ ـ والكواكبْ / فاعلاتن) ،كما يستخدم بحوراً مختلفةً هي : الخفيف والمجتث في المقطعين الأول والثاني، المتقارب في المقطع الثالث والرابع والخامس ، والمجتث في المقطع السادس . والملاحظ أن الشاعر يمنح لنفسه حرية التصرف في تفاعيل هذه البحور، فيحدث فيها بعض التغييرات ، وذلك مثلا : بإجراء الخَبْن والقَطْع في (مُستَفْعِلُنْ) في المقطع الثاني ، فتصير إلى مُتَفْعِلْ التي تساوي (فَعُولُنْ) ، وبذلك يكون الشاعر قد انتقل إلى تفعيلة بحر آخر هو المتقارب :

البراري فاعلاتُنْ
تسير فيها الدراري مستفعلنْ فاعلاتُنْ
معاهدْ فَعولُنْ
لا تستبين لعابدْ مستفعلنْ فَعلاتُنْ
يظل بين المعاهدْ مُتَفْعِلُنْ فاعلاتُنْ

أو بتنويع الأضرب، وذلكَ في سائر مقاطع النص:

النجومْ فاعلاتْ
فيها فؤادي يهيمْ مُسْتَفْعِلُنْ فاعلاتْ
والكواكبْ فاعلاتَنْ
تبدو بشكل مواكبْ مُسْتَفْعلُنْ فَاعلاتَنْ
تسيرُ سيرَ المريبْ مُتَفْعِلُنْ فاعلاتَنْ
في بحرها المتذاهبْ مُسْتَفْعِلُنْ فَعلاتَنْ
في القبة العليساء مُسْتَفْعِلُنْ مَفْعولُنْ
في لازَوَرْدي السَّماءِ مُسْتَفْعلُنْ فاعلاتَنْ
ذات السَّنا والسَّنَاءِ مُسْتَفْعلُنْ فاعلاتَنْ
تبدو كميثل المريبْ مُسْتَفْعلُنْ فاعلاتَنْ
في عليم الأسلامْ مُسْتَفْعلُنْ مَفْعولْ
ودَهْشَةِ الأقوامْ مُتَفْعلُنْ مَفْعولْ

فقد استخدم الشاعر في هذا المقطع ، أربعة أضرب هي: فاعلاتْ ـ فاعلاتْنْ ـ مَفْعولُنْ ـ مَفْعولْ .

ومن مظاهر التصرف التي نلاحظها كذلك في المقطع الأول من قصيدة « النجوم » : أنه يبدأ ببحر الخفيف في الأسطر الأربعة الأولى ، إلا أن التفعيلة الأولى جاءت مقصورة (فاعلاتْ)وهو أمر غير مقبول في الحشو عند العروضيين إذا اعتبرنا أن هذه التفعيلة تكوَّنُ مع التفعيلتين التاليتين شطر بيت الخفيف (فاعلاتن مستفعلن فاعلاتن)، والمتأمل في البنية العروضية لهذا المقطع يبدو له أمران: إما أن الشاعر مزج في مقطعه بين بحرين هما الخفيف في مفتتح المقطع والمجتث في باقي الأبيات وهما من نفس الدائرة (دائرة المجتلب) أو أنه اختار تفعيلتين هما فاعلاتن ـ مستفعلن وبنى مقطعه عليهما سامحاً لنفسه ببـــعض التصرف فيهما، هذا فضلا عن بروز ظاهرة التنويع في القوافي . والجدير بالذكر بخصوص مسألة تنويع الأضرب أن علال الفاسي قد عمد إلى هذا التنويع حتّى في إحدى قصائده التقليدية وهي بعنوان « لغز مشكل » (12) ، حيث استعمل الضرب محذوفاً(مفاعي التي تقلب إلى فعولن) في الأبيات الثلاثة الأولى من القصيدة :

يريدونَ منْ عيْني الدُّموعَ وإنَّما بُكائي على رَبْعِهم التَّموارث غيْلمي
وَما إنْ عَرَفْتُ الدَّمْعَ إلاَّ مَيَمَّرَةً بِفَيْأني وَلِمذانا بَطيْمَة سَيْسَلمي
تَفَيَّمتُ في الدُّنْيا كَثيْمراً وَإنَّيما وَيَمَدْتَيْلدى الآلام راحَةَ نَيْمفَلمي

وتاماً (سالماً صحيحاً) في بقية الأبيات (مفاعيلن) والقصيدة من البحر الطويل، مؤرخة بتاريخ : 29 ماي 1942 م. والمتأمل في القصيدة ، يجد أن التَّنْويع في الأضْرُب لم يكن بهدف التحرر من قيد وضعه العروضيون يتمثل في منعهم التنويع في العروض والضرب في أبيات القصيدة الواحدة فحسب ، وإنما جاء لتحقيق غرض فني ، فالتنويع في الأضرب في هذا النص له دلالته المرتبطة بالسياق . (13) فالشاعر يعاني كثيراً من الآلام في سبيل قومه وبني وطنه ، ولكنه مع ذلك يواجهها بالتحدي والصبر فبكاؤه غال رغم الكوارث ، وكل ما يصيبه من أذى من أجلهم ، يلقاه بنفس راضية ، ولا يجد فيه إلا كل راحة بال ، إلا أن قومه لا يفهمونه ، ولا يقدرون عبقريته وجهوده ومعاناته . لذلك فهو يواجههم بألوان متناقضة من السلوك والقول اعتبرها خير وسيلة لتحقيق التواصل معهم :

أُسَرُّ إذا سِيئُوا وأَغْضَبُ إنْ رَضُوا وأَضْحَكُ إذْ يبكُونَ منْ غَيْرِ إغْفَال
شَرَعْتُ لنفسي في الحياةَ طريقةً تقومُ على معنى التَّلاعُب بالحال
لأنِّي رأيتُ النَّاسَ لا يَفْهَمونَنِي وَيأبَوْنَ تَفْصيلي وَيأبَونَ إجْمالي
فأيَّما أخذتُ القَوْلَ يُهْزِءُ مُنْكِراً وَأوْهُ وُضوحي مِنْ إبَيْنِكَ مَيْنْ إبَيْنِكَمال

فالتنويع في الأضرب هنا ، يتساوق مع تنويع الشاعر لمواقفه إزاء قومه ، والتلاعب بأحوالها (أحوال الأضرب) ، يتناغم مع الطريقة التي شَرَعَها الشاعر لنفسه لمواجهة الحياة والناس ، وهي التي تقوم على معنى التلاعب بالحال كسبيل لمقاومة أهوال الحياة ، ورغبةً في أن يفهمه الناس ، ويقدرون كفاحه حقَّ قدره . وفي كل الأحوال ، فالذي يتبدى لنا من خلال هذا الصنيع و من خلال غيره مما رأيناه سابقاً من ألوان التصرف في الإطار الشعري القديم ، هو مدى توق الشاعر علال الفاسي إلى التحرر من بعض التقنينات التي يتقيَّدُ بها الشكلُ العمودي هو وغيره من الشعراء المغاربة الذين تمت الإشارة إليهم أعلاه ، وهذا ما يمثل طموحَ الشَّاعر المغربي المعاصر المبكِّر إلى التجديد الشعري، والبحث عن أشكال جديدة تتيح له التحرر والانطلاق للتعبير عن همومه الذاتية والموضوعية المستجدة. ويرى د. محمد علي الرباوي أن ما قام به الشاعر علال الفاسي في قصيدة « لغز مشكل » التي كتبها سنة 1942 « يعد تمهيداً لما ستكون عليه القصيدة الحرة التي ستبنى على تعدد الأضرب » (14).

هوامش :

1 ـ انظر كتاب «موشحات مغربية « للدكتور عباس الجراري»، ط.1 ،دار النشر المغربية ، الدار البيضاء ، 1973، ص: 138.

2 ـ ديوان الشعر المغربي المعاصر ، إعداد صلاح بوسريف ومصطفى النيسابوري ، من مدخل للديوان كتبه عبد الرحمان طنكول وترجمته : أمامة المنوني ، ط1 ، بيت الشعر في المغرب. دار الثقافة ، الدار البيضاء ، 1998 ، ص : 11 .

3 ـ العروض ، دراسة في الإنجاز ، أطروحة تقدم بها صاحبها لنيل شهادة الدكتوراه ، مرقونة ، ص : 379 .

4 ـ نفسه ، ص : 379 .

5 ـ من قصيدة « هل عندنا أديب ؟ « ، الأدب العربي في المغرب الأقصى لمحمد بن العباس القباج ، م .س . ذ ، ص: 40 وما بعدها . وقد نشر الشاعر هذه القصيدة في ديوانه : «لوحات شعرية» ، دار كريماديس للطباعة ، تطوان ، 1966.

6 ـ الأدب العربي في المغرب الأقصى ، م .س .ذ ، ص : 69 .

7 ـ العلمان الوارِدان بالبيت هما : علال الفاسي والشاعر الجزائري محمد العيد .

8 ـ عبد الله كنون ، أحاديث عن الأدب المغربي الحديث ، ط .4 ، دار الثقافة ، الدار البيضاء ، 1405هـ ـ 1984 م ، ص : 146.

9 ـ نفسه ، ص :

10 ـ انظر على سبيل المثال : قصيدة « أغرودة حزين» نظمت (1932) ص: 67 ؛ «الهزار الساكت» نظمت (1936) ص: 77 ، (ديوان علال الفاسي ، جمع وتحقيق : عبد العلي الودغيري ، ج1 ، الأشعار الأولى ، منشورات مؤسسة علال الفاسي، 1983 م .) وانظر كذلك القصائد التالية : « نشيد الحب» نظمت (1938) ص : 96 ؛ « البدر وزعماء الأفكار» نظمت (1938) ص : 99 ؛ « ليخلق كل منا دنياه» نظمت (1939) ص : 105 ؛ «ناشئة الليل» نظمت (1940) ص : 115 ، «سكناي في منفاي» نظمت (1941) ص : 76 وذلك في (ديوان الشاعر ، «روض الملك» القسم الأول من الجزء الثاني ، إعداد وتحقيق، عبد الرحمن بن العربي الحريشي ، نشر مؤسسة علال الفاسي ، 1987 .)

11 ـ نفسه ، ص : 123 .

12 ـ ديوان علال الفاسي ، القسم الأول من الجزء الثاني ، م . س . ذ ، ص : 35 . وقد نبهني إلى وجود هذه الظاهرة في هذه القصيدة الصديق الشاعر محمد علي الرباوي في أحد لقاءاتي به بالدار البيضاء .

13 ـ موسيقى الشعر عند جماعة أبوللو ، م. س. ذ ، ص : 79 وما بعدها .

14 ـ العروض ، دراسة في الإنجاز ، م. س . ذ ، ص : 390 .

قراءة في كتاب السحر الموريسكي للدكتور نزار التجديتي (2)

L'enchantement mauresque anthologie des voyageurs français au Maroc Nizar Tajditi

د. عبد الواحد التهامي العلمي

تقديم

كان المغرب منذ القرن السابع عشر إلى القرن العشرين قبلة للرحالة من مختلف الجنسيات، على اختلاف وجهاتهم الإيديولوجية ومرجعياتهم الفكرية. ولعل نصوص الرحالة الفرنسيين كانت تزخر بمعلومات غنية جغرافية واقتصادية واجتماعية.

ومن أبرز كتب الرحالة الفرنسيين عن المغرب والأندلس التي كان لها تأثير كبير في تشكيل المخيلة الغربية عن المغرب. يمكننا أن نذكر الرحلات الآتية:

- «رحلة إلى المغرب» لجان-باتيست تافيرنييه (1670)

«رحلة إلى الأندلس» لتيوفيل غوتييه (1840)

«رحلة في المغرب لشارل ديديي، (1844)

رحلة «ذكريات سفر داخل المغرب»، لأوجين دو لاكروا (1844)

«المغرب، رحلة إلى فاس ومراكش» لبيير لوتي (1890)

- «مذكرات رحلة إلى المغرب» لإدوار دو بونسال (1893)

«أفول الإسلام» لأندري شوفريون (1906)

هذه الكتب تقدم وصفًا للمدن ونظرة ثاقبة عن التاريخ والثقافة والعمارة في المغرب والأندلس من منظور الرحالة الفرنسيين ، وتعتبر مصادر قيمة لفهم التاريخ والثقافة في هذه المنطقة.

قراءة في العنوان:

عنوان الكتاب «السحر الموريسكي « يعكس الانبهار والقلق الذي يتجلى في سرد المرحلة المورسكيين؛ فهم انسحاب غير منتظر، وغير قابل للتفسير فهو شيء يدرك بالحواس. إن السحر الذي يحصل عبر الحواس يستدعي مواقف وأهواء الرحالة الفرنسيين.

كتاب السحر الموريسكي للدكتور نزار التجديتي:

إن كتاب «السحر الموريسكي» للدكتور نزار التجديتي، أنطولوجيا الرحالة الفرنسيين في المغرب»، هو اختيار لنصوص الرحالة الفرنسيين الذين زاروا المغرب في فترات مختلفة. لقد اختار المؤلف عشرين نصا من رحلات الرحالة الفرنسيين، غير أنه يذكر في مقدمة كتابه أنه أدرج ضمن هذه المختارات مؤلفين رحالة غير فرنسيين، وهم: جان بوتوكي Jean Potocki وهو أمير بولوني، وإيزابيل إيبيرهارد Idabelle Eberhardt وهي مواطنة سويسرية من أصل روسي. أما الكونت كونارد دو بويسوري Le comte Conard de Buisseret فهو ديبلوماسي بلجيكي. وكل هؤلاء الثلاثة ينتمون إلى الأدب ذي التأثير الفرنسي.

د. نزار التجديتي

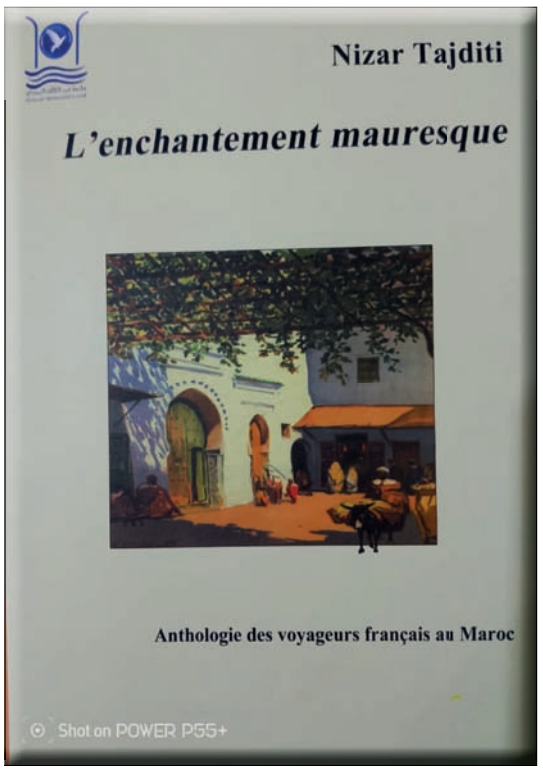

انبهار الرحالة الفرنسيين بالتراث الأندلسي:

يتجلى هذا الانبهار في السحر والتأثير التي تحدثه جماليات العمارة الأندلسية وتفاصيل زخرفتها الهندسية في نفوس الرحالة الفرنسيين الذين زاروا المغرب (الأقواس، والزليج، النقوش العربية)، كما يتجلى فيما يزخر به المغرب من فنون وعادات وتقاليد.

لكن بعض لوحات الرحالة الفرنسيين صورت حياة الموريسكيين ورسمتهم كآخر غامض، ومغر، ومتخلف، ومتوحش.

كان هدف الرحالة الفرنسيين اكتشاف عالم آخر استطاعوا من خلاله اكتساب معرفة واسعة عن طريق تجربتهم الذاتية، والانخراط في علاقة مع هذا الآخر الغريب. وهكذا تتحوّل النصوص الرحلية إلى فضاء للتفاوض بين الهويّات، وللتفاعل بين الثقافات، أكثر من كونه مجرد نقل لوقائع الرحلة.

لا يُقدَّم الواقع في الخطاب الرحلي كما هو، بل يُعاد تشكيله من خلال منظور الرحالة، الذي يُخضعه لاختيارات لغوية وسردية تحدّد تمثيله. فالوصف ليس مرآة، بل هو دائمًا انتقائي: يسلّط الضوء على عناصر دون غيرها، ويُضخّم بعض الوقائع، ويُقلّل من شأن أخرى. ومن خلال هذه العملية، يُبنى تصور معيّن للعالم، يحمل بصمة الذات المُتكلمة ومرجعياتها الثقافية.

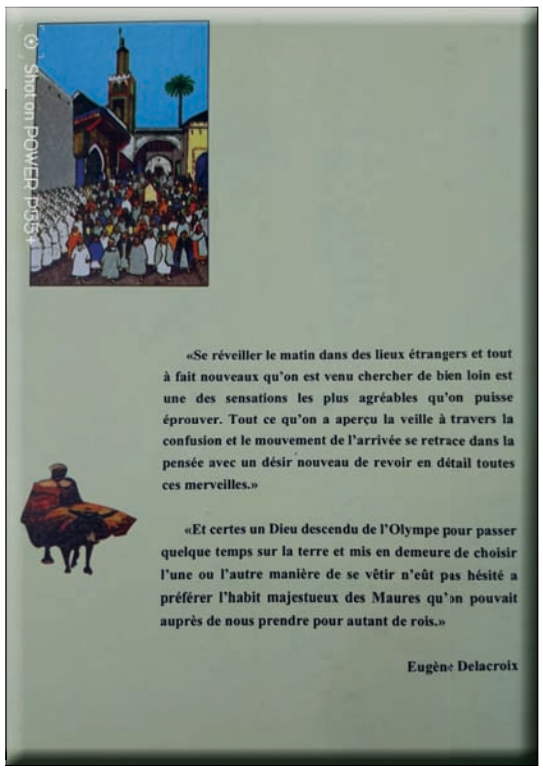

وهكذا، فإن النص الرحلي لا يُعطينا معلومات عن الأماكن أو الشعوب، بل يكشف لنا عن طريقة إدراك الرحالة لما حوله، وعن مواقفه، وأحيانًا عن أحكامه المسبقة. وهذا ما يجعل من تحليل هذا النوع من الخطاب تيسيرورة تكشف لنا الإيديولوجيات الإيديولوجية والمعرفية التي تؤطره.

لا يُكتب النص الرحلي بمعزل عن بنيويا تواصليّة. فهو مرحلة بين سيروي، لا يكتفي بسرد ما عاشه، بل يسعى إلى التأثير في المتلقي، سواء من خلال إثارة الدهشة، أو تمرير رسالة، أو الدفاع عن فكرة. ومن هنا، فإن الخطاب الرحلي يحمل دائمًا مقصدية معيّنة، يمكن أن تكون تعليمية، تبريرية، ترويجية، أو حتى نقدية.

هذه المقصدية تظهر من خلال أساليب الخطاب المعتمدة، كاختيار المعجم، وتوجيه النظرة، واستعمال آليات التأثير (المقارنة، أوالتهويل، أوالتكرار...). فالنص الرحلي لا ينقل «الواقع» بقدر ما يقدّم قراءة موجّهة له، تخدم غاية تواصلية واضحة.

CONFERENCIA DE LA ASOCIACIÓN DE AMISTAD Y SOLIDARIDAD ENTRE MARRUECOS Y AMERICA LATINA

LATIFA LAAMARTI
Universidad Abdelmalek Essaadi - Tánger - Marruecos

En el marco del ciclo de conferencias que organiza la asociación de amistad y solidaridad entre Marruecos y America Latina, el encuentro de ayer era sobre: "Diferencias del desarrollo social y derechos humanos entre la mujer mexicana y marroquí"**. Las mujeres marroquíes y mexicanas enfrentamos los mismos desafíos por pertenecer a sociedades y legislaciones de tradición patriarcal y a una realidad bastante compleja y diversa, una realidad marcada por sistemas de opresión profundos como es el colonialismo y la colonialidad, en Marruecos se añade la tradición religiosa. Tanto en Marruecos como en México, la lucha feminista genera un impacto significativo en muchos ámbitos, especialmente los político y jurídico. Sin embargo, la aplicación efectiva de las leyes es muy limitada por la cultura patriarcal y la corrupción de los sistemas judiciales. Las desigualdades y discriminaciones de género siguen siendo un problema grave, pues un gran porcentaje de mujeres no están empoderadas para desarrollar su potencial. Estas desigualdades se manifiestan en las dimensiones más importantes de la vida humana: la salud, la educación, la toma de decisiones y la violencia contra las mujeres que aumenta y adquiere formas sistemáticas. De hecho, compartimos la experiencia de la violencia de género con cifras cada vez más alarmantes, que se incrementan en situaciones de crisis y catástrofes como se viene de comprobar después de la pandemia del COVID-19. La reciente celebración del Día internacional de la Eliminación de la violencia contra la mujer (efeméride cuyo antecedente es el asesinato brutal de las hermanas Mirabal de la República Dominicana en 1960) viene a confirmar que en cada 10 minutos se asesina a una mujer y una de cada tres mujeres ha sido víctima de abuso en su vida. En Marruecos, todavía estamos lejos del principio de equidad y paridad cosa que se muestra en la poca presencia de las mujeres en puestos de responsabilidad: ¿Cuántas mujeres tenemos como ministras, presidentas de las comunas (ayuntamientos), o en el parlamento? ¿Cuántas mujeres están en la presidencia de las universidades? La responsabilidad moral de la familia recae solo sobre la mujer, lo que supone un obstáculo ante su promoción profesional. Por otro lado, cuando se trata de puestos de responsabilidad, la mujer siempre tiene que justificar sus cualidades y competencias, lo cual no es necesario para un hombre». La escritora mexicana Laura Hernández habló, de su parte, de la extrema violencia de género en su país. De hecho, el "genocidio de género" y los "feminicidios" son, a mi juicio, otras formas de violencia, "modernas", novedosas y crueles que aparecieron con la modernidad y la globalización.**

تازة : موسم الزهر وعي بأهمية التراث اللامادي في حفظ هوية المدينة..

• د. عبد السلام انويكًة

على وقع بهاء ربيع المدينة وصور طفوحاته واطلالاته ونزهته ومنظره وجبله ومياهه وألوان أغراسه، وعلى وقع روح دروبها وأزقتها العتيقة وفضاءاتها الأثرية وزمنها اللامادي، فضلا عن مشترك رمزي محلي تراثي بأثر سلطاني. كانت تازة على موعد مع موسم الزهر في دورة سادسة، ارتأت لها الجهة المنظمة «دور المجتمع المدني في حفظ الهوية الحضارية للمدينة» شعارا. عبق مديني أصيل ومراسيم تقطير زهر وأثاث فكر وفن وابداع واحتفاء، جعل الموسم لقاء بتطلعات أوسع صوب ما ينبغي من حضن رافع للمدينة العتيقة، ومن رد الاعتبار لها وحفظ هويتها كي تسهم بمخزونها وزخمها التراثي المتفرد فيما هو منشود من نماء محلي.

ولعل موسم الزهر بتازة حتى دورته الأخيرة، لم يكن أبدا مجرد حدث ثقافي عاد، بل عميق وعي بأهمية تراث المدينة وبسبل اشتغال عليه مع تطلعات تخص جميع تجلياته بما في ذلك جانبه اللامادي، بل الموسم كان ايضا ولا يزال دعوة لحمايته ولمزيد من الالتفات اليه، وعيا بأن تراث المدينة كل لا يتجزأ وأن الى جانب معالمها الأثرية هناك عادات وتقاليد وأدب عيش وصور حياة وسلوك انسان، وأن روح المدينة العتيقة أساسا تراثها اللامادي، وحماية هذا الأخير تثمين لهويتها وطابعها الأصيل. هكذا هو موسم الزهر نداء حضاري بقدر كبير من الأهمية والرسالة والاشارة للجميع كل من موقعه، من اجل ما ينبغي من حفظ لهوية المدينة التراثية. موسم جوهره كان منذ دورته الأولى حتى الآن، ابراز الهوياتي التراثي المحلي الحضاري مع التحسيس بقيمة الرأسمال اللامادي وما يمكن أن يسهم به على المستوى الترابي المحلي. علما أن من جملة ما طبع هذا الموعد الربيعي السنوي ولا يزال من أنشطة فنية وثقافية وفكرية وتواصلية، إعداد الناشئة الجديدة على التراث ومن ثمة التربية والتنشئة على الهوية المحلية والوطنية المغربية «تمغربيت»، فضلا عن غرس معنى التراث وعبقه وجماليته في نفوس الأجيال من اجل ما ينبغي من تلاقح ومشعل واستمرارية.

وغير خاف أن موسم الزهر بتازة الذي بلغ دورته السادسة، وفي جعبته احلام واسعة على أكثر من مستوى، هو اشتغال على مشترك جمعي بالمدينة فضلا عن ذاكرة من المهم حفظ زخمها وغناها الإنساني الجامع بين ذخائر شفوية عدة وزخم عادات وتقاليد، حتى لا يطويها الاتلاف والإهمال والنسيان ويكون ترميم معالم المدينة الأثرية وتهيئة فضاءاتها التاريخية بدون لا معنى ولا قيمة مضافة، إن هي فقدت روحها وعبقها اللامادي. من هنا ما يحضر موسم الزهر من وقع تراثي روحي مؤطر، ذلك الذي لا يزال ممتدا حتى الآن. وكما لأهل تازة تقاليد تخص لباسهم واحتفاءاتهم وموائدهم وطبخهم.. فلهم أيضا تقاليد تعكس اصالتهم وتميز عمق علاقتهم ببيئتهم ومستقرهم ومن ثمة تراثهم الأصيل اللامادي الذي منه تقليد ماء الزهر. واذا كان قد تم تصنيف تازة تراثا وطنيا قبل عده سنوات لِما هي عليه من أثر مادي تاريخي هام، فإن ما تزخر به من إرث لامادي من شأنه أن يكون رافعا لأفقها الانساني مستقبلا. وعليه، فموسم الزهر بها ليس مناسبة لفرجة واحتفاء ونزهة روحية ووجدانية فحسب، بل موعدا لتبادل وإنتاج ما ينبغي من أفكار ورأي ومقترح علمي وفني وترابي.. لمزيد من الإغناء والبعد الوظيفي. هكذا كان ولا يزال موسم الزهر، مساحة لصلة رحم بين ماض وحاضر وخلف وسلف كان بما كان من تقاليد عاش على وقعها وعمل على حضنها وحفظها. ولعل موسم الزهر الذي تحتفي به دار السماع ربيع كل سنة، هو في حد ذاته تراث لامادي وهوية كانت ولا تزال حاضرة في زمن المدينة، وهي بحاجة أكثر من أي وقت مضى لعناية وانصات وحماية، في زمن عولمة وتدفق قيم وسلوك وقرصنة وإهمال واتلاف وترييف ونسيان الخ.

ولعل حفظ تقليد تقطير الزهر كتراث لامادي بتازة، كان ولا يزال ما يرومه موسم الزهر عبر ما يؤثثه من احتفاء وأجواء رافعة، وما ينشده من حس روحي إيجابي مجتمعي، على وقع ما كان عليه السلف من عافية نفسية وطمأنينية وهدوء وتفاءل وقناعة وتعايش وتعاون .. الخ، مستفيدا مما كان لديه من سبل وفرص عيش من قبيل قربه ومجاورته للطبيعة (نزاهة، تغدية، اغراس في البيوت، مشاهد ومناظر محيطة، فرح واحتفاء جماعي..)، وأن من هذه الطبيعة في معيش السلف ما كان من تقليد وطقوس خاصة بتقطير الزهر. ومن هنا ما يحسب لموسم الزهر بتازة من صلة رحم مع ماض وفصل ربيع، ومن خلاله صور موسم وزهر وما كان يطبع بيوت أسر تازية اصيلة ويملأ دروب المدينة وأزقتها وأسواقها لبضعة أسابيع، من ثقافة إعداد واستعداد بدءا باقتناء الزهر من أمكنة عرضه، وايضا مما كان يطبع الأسرة التازية من لحظات جمع ومتعة بطيب رائحة زهر زكية، ومن تجويد لعبقها عبر طقوس خاصة قبل تقطيرها، فضلا عن تخزينها وقيم تقاسم بعضها بين هذا وذاك من جار وقريب ومحتاج. دون نسيان كون موسم الزهر بتازة الذي بلغ دورته السادسة، هو صلة رحم مع أمكنة بذاكرة رمزية خاصة ذات صلة، من قبيل ملتقى قبة السوق الشهير بالمدينة وزنقة باب الزيتونة وما كان يتقاسمها من محلات كانت تعرض على جنبات أبوابها قفاف زهر وورد، ضمن مشهد يضفي رونقا خاصا على هذه الأمكنة كل صباح ولعدة أسابيع من ربيع كل سنة. وقد ارتبطت بها بأسماء عدة اشتهرت ببيع الزهر والورد لا تزال تحضر في ذاكرة المدينة.

والشيء بالشيء يذكر كما يقال، من امكنة تازة العتيقة التي بذاكرة في ثقافة تقطير الزهر بها، ما كان ولا يزال يعرف فيها ب «القزدارين». ولعل المكان الذي بمثابة مركب حرفي، بقدر ما كان بمحلات عدة وحرفيين متخصصين في صناعة وإصلاح بعض الأثاث المنزلي من قبيل قطارات ماء الزهر، بقدر ما كان يشهده من حركة دؤوبة واقبال استعدادا لتقليد تقطير الزهر.

ونذكر من جملة ما يحضر موسم الزهر بتازة من أمكنة وصلة رحم ايضا، سوق العطارين والعشابين الذي كان ولا يزال نفسه المكان الخاص بالأعشاب الطبية وكذا العطور وماء الزهر والورد وغيره. ولعله يتوسط المجال الفاصل بين الجامع الأعظم السلطاني وضريح ولي تازة الشهير سيدي عزوز، وبين فضاء المشور الذي طبع تازة كمدينة سلطانية، مرورا بمساجد وأضرحة علماء وفقهاء ومدارس عتيقة وغيرها. وكغيرها من مدن المغرب الأصيلة التي كانت بفضاء خاص بالعطارين والعشابين، لا يزال المكان بتازة بفوح بعبق ماض فضلا عن حركية ثقافة عشبية وعطرية، علما أن ما هو عشب طبي كان ولا يزال جزءا من أثاث البيت التازي الأصيل عموما، لدرجة يكاد لا يخلو هذا البيت من مادة الأزير مثلا والزعتر وفليو ولخزامة..الخ. ولعل جميع هذا وذاك يترجم ما هناك من هوية حضارية محلية تازية ضاربة في القدم، لا شك أنها تراكمت إثر ما كانت عليه المدينة من أدوار بقدر كبير من الأهمية العلمية والدينية والسياسية، وبخاصة خلال فتراتها الذهبية التي لعبت فيها دور المدينة العاصمة ولو لفترات محددة، عندما كانت مصدر قرارات سيادة تجاه كل جهات البلاد. ولعل أثر تازة السلطانية لا يزال باديا ليس فقط من خلال ما هناك من معالم أثرية من قبيل مشور المدينة وجامعها الأعظم السلطاني ودار الامارة / القصر، فضلا عن مدفن ملكي مريني وجنان سلطان ومحج مصارة وغيرها. بل ما هناك من تراث لا مادي جامع بين تقاليد وعادات عريقة منها ما يتعلق بالعطر والعطور وتقطير الزهر وأمكنة وتقاليد إعداده، انسجاما مع مناسبات احتفاء محلية لا شك أن منها ما كان بطابع سلطاني. ويبقى من صور صلة الرحم التي لموسم الزهر بتازة، احتفاءه وتكريمه وتعظيمه لشجرة مباركة «النارنج»، من خلال استحضار رمزيتها وسلطتها النباتية الطبية والعطرية وهيبتها الجمالية، باعتبارها نباتا تراثيا جزءا من ذاكرة وهوية البيت التازي الأصيل.

هذا فضلا عن تعريف موسم الزهر بها وبأهميتها وقيمتها البيئية وأفق توزعها بالمدينة، خاصة على مستوى مجالها العتيق حيث مدارات باب الريح وفضاء «ليروشي» وباب طيطي وباب القبور وباب الجمعة وساحة أحراش، دون نسيان جنبات أسوارها الأثرية المحيطة وما يمكن أن تضفيه شجرة النارنج هذه من جمالية منظر حضري، فضلا عن وسط بيئي جاذب ومورد شجري وخزان واعد رافع لتطلعات الموسم وأحلامه في دوراته القادمة بحول الله. وفق طبعا ما ينسجم مع روح المدينة العتيقة ومجالها التراثي المادي واللامادي، وجميع ما من شأنه تثمينها ورد الاعتبار لها واستعادة ما كانت عليه من اشعاع ومكانة الى عهد قريب، ومن ثمة حفظ هويتها الحضارية وخصوصيتها الترابية الأصيلة.

هكذا هو موسم الزهر وتازة في زمن وتراث المغرب منذ العصر الوسيط، وقد كان الحسن الوزان صاحب تقرير»وصف افريقيا» الذي خصه لتراب البلاد طولا وعرضا، دقيقا فيما أورده عن تازة، عندما ذكر أنها تحتل الدرجة الثالثة في المملكة من حيث المكانة والحضارة، معرجا في حديثه على أن بها جامع أكبر من جامع فاس وفنادق كثيرة وأسواق منتظمة كأسواق فاس، مضيفا كون ملوك بني مرين كانوا يقضون بها الصيف كله. وحتى المؤرخ والسياسي والأديب والشاعر لسان الدين بن الخطيب، عندما زار تازة خصص لها فقرة بقدر كبير من الرمزية، أشار فيها لهوية المدينة من حيث ما هي عليه من بيئة جامعة بين طيب هواء وعذوبة ماء ومواهب عدة. فكيف اذن أن لا تكون تازة بتاريخ وتراث وثقافة وتقاليد وعادات ضاربة في القدم والتي منها تقطير الزهر. فما أحوج المدينة لموسم الزهر ولغيره من مواعيد ذات طبيعة تراثية رافعة لمجالها العتيق، لِما يمكن أن تسهم به على مستوى حفظ تراثها وهويتها، مادام أنها تشتغل على مجال حيوي يخص التراث في جانبه المادي واللامادي. ونعتقد أن تراث تازة الأصيل الذي منه تقليد تقطير الزهر، بقدر ما يدخل ضمن حجر الزاوية، من حيث حفظ ما هو تراث وهوية وما ينبغي من تربية وتنشئة ووعي تراثي، بقدر ما ورش حفظ تراث تازة اللامادي رهين بمواعيد احتفائية رافعة، مستحضرة بصمات ماض وتجليات تراث من قبيل تقليد تقطير الزهر وموسم الزهر. وهو ما احتفت به المدينة في دورة سادسة أيام 1، 2، و3 ماي الجاري، على وقع أثاث فني تراثي جمع بين حلقة ذكر وشذرات فن المديح لمجموعة دار السماع، نفحات من تراث الطائفة العيساوية، مساحة احتفائية بطقوس ومراسيم تقطير زهر على الطريقة التازية الأصيلة. فضلا عن ندوة علمية بقدر من الاحاطة الفكرية حول تراث تازة اللامادي وسبل حفظه، وقد تقاسم محاورها باحثون جامعيون. وعن سهرة ختامية كبرى باذخة أطر عظمة عرضها الفني جوق الحاج أحمد لبزور التازي لطرب الآلة والجمعية التازية لفني السماع والأمداح النبوية، فضلا عن الايقونة المغربية الحاج محمد باجدوب الذي حبس بصوته وتفرد أدائه وغنى تموجاته وطاقة اشعاره ونبوغه الفني، أنفاس حضور موسم الزهر. مسدلا الستار على دورته السادسة، وعلى عظمة موعد رافع لِما هو منشود من مكانة وإعادة اعتبار لتازة ولتفردات تراثها اللامادي.

قراءة في مؤلفات الدكتور يونس السباح عن الشاعر الوزير محمد ابن موسى

• الباحثة هجر الفتوح

نظم مركز ابن أبي الربيع السبتي للدراسات اللغوية والأدبية بتطوان التابع للرابطة المحمدية للعلماء قراءة في ثلاثة كتب للدكتور يونس السباح عن الشاعر الوزير محمد بن عبد القادر ابن موسى.

قدم هذه القراءة يوم الاثنين 15 شوال 1446هـ الموافق لـ 14 أبريل 2025م على الساعة الحادية عشرة صباحا بمقر المركز الدكتور عبد اللطيف شهبون، والدكتور نجيب العوفي.

وقد أدار الجلسة الباحث سليمان المُساتي، فرحب في البداية بالحضور أساتذة وطلبة وباحثين، ثم انتقل إلى الحديث عن كتب الدكتور يونس السباح عن الشاعر الوزير محمد بن عبد القادر ابن موسى، وزير الأحباس بالمنطقة الخليفية بتطوان زمن الحماية، وهي: ديوان شعره، وتراثه الأدبي، وسيرته وآثاره.

وقد قدم القراءة الأولى للكتاب الدكتور عبد اللطيف شهبون، حيث ذكر أننا أمام منجز علمي يربو على سبعمائة وخمسين صفحة، وقد تناولت هذه الصفحات جوانب ثلاثة: السيرة والآثار، والذات أو شخصية الشاعر ابن موسى، والتراث الأدبي، أي: ما يرتبط بكل المكتوب النثري، ثم الديوان. وقد ركز الدكتور عبد اللطيف شهبون في مداخلته على بعض الملاحظات التي يسعى بها إلى ذكر بعض مناقب هذه الأعمال، ليس من باب النقد كما قال أو من باب التقويم، بل من باب التقديم الذي يسمح للمستمع والمهتم أن يعود إلى النص ويقرأه.

وأشـار المتكلـم إلى أن هذا المنجز العلمي طُبع طبعة أنيقة، وذكـر أنه سيركز على ديـوان شعر العلامة الأديب الشاعر محمد بن عبد القادر ابن موسى، وأشـار إلى أن أول ما استدعـاه إلى الوقوف هو عَتَبة الإهداء، لأن الإهداء أول ما يُبدأ به، وهو أول ما يثير انتباه القارئ، لكون هذه العتبة الإهدائية توقا كتابيا آليا ومباغتا لامتلاك لحظة الكتابة المختزلة بنوع من التكثيف الدلالي والنفسي، فهو لا يُكتب إلا بعد تدبر عقلي ونفسي. ثم لكون هذه العتبة الإهدائية تجسيدا لمقام وحالٍ موسومين بجلال وجمال زاخر بدفء إنسانيٍ فيه من الحكمة ما يتضمن صدقا ونبلا ووفاء. ثم لكون هذه العتبة الإهدائية دعوة المُهْدِي إلى المُهْدَى إليه لاستحضار سياقات مشتركة، سواء على المستوى النفسي أو على المستوى القِيَمي. وأخيرا فإن هذه العتبة الإهدائية إشباع لفضول معرفة ما خَطه صاحب الكتاب في أيْنِه المخصوص زمانا ومكانا واختياره واقعا وافتراضا، ولكون هذه العتبة الإهدائية توسيعا لدوائر الكتاب.

ثم ذكر أن الدكتور يونس السباح في هذا الكتاب أهدى منجزه الموسوم بديوان شعر محمد بن عبد القادر ابن موسى إلى روح هذا الشاعر الذي لم ينل حظه من الاهتمام والدراسة، ثم أهداه إلى روح كريمة هذا الشاعر المرحومة زينب التي كانت وراء إخراج هذا العمل. ثم أهدى الدكتور يونس هذا المنجز إلى روح أستاذه المرحوم محمد بوخبزة تلميذ محمد ابن موسى الذي مد يد مساعدةٍ فضلى للدكتور يونس السباح، حيث أمده بنسخة بخطه للديوان. ثم أهدى هذا العمل إلى والديه الكريمين. وفي النهاية أهداه إلى قراء العربية.

ثم انتقل للحديث عن محمد ابن موسى، فذكر أنه لم ينل حظه من التعريف والدراسة الأكاديمية، ومن جهة ثانية ذكر المتكلم أن الدكتور يونس السباح كتب ترجمة مركزة بناها على جملة من العناصر، هي: الميلاد والنشأة والمشيخة والمكانة الاجتماعية وشاعرية هذا الرجل كما شهد بها نقاد معاصرون وأكاديميون، ثم توقف المؤلف عند منجز محمد بوخبزة، كما ذكر أن في ثنايا الترجمة كلاما مُرَكَزًا حول النسخة المخطوطة للديوان وهي موجودة في المكتبة العامة، ثم أشار إلى المجهود الذي قام به المرحوم عبد القادر الخراز. وأضاف المحاضر أن ميزة هذا المنجز العلمي أنه يقدم لنا نصا ويفتح أمامنا آفاقا جديدة للنظر في هذا التراث.

كما ذكـر الدكتور عبد اللطيف شهبون أن الشاعر محمد ابن موسى ترك لنا خمسة وسبعين نصا شعريا يتفاوت بين القصيدة والنتفة والمقطوعة في أغراض معروفة؛ أجملها في الإخوانيات، والمساجلات، والتوسل، والمدح السلطاني والإخواني، والمعارضة، والغزل، والتهنئة، والمُفَاكَهة، والرثاء، والمعاتبات. وذكر أن أهم ما استوقفه شعرُه المرتبط ببلاغة الخير الذي يقصد به المحاضر التوسل والابتهال بما هو توجه وتضرع إلى الخالق. وأشار إلى أن أشمل ما يمكن أن تقرأ في نصوص ابن موسى النماذجُ التوسلية، حيث تميزَ غرضُ التوسل عن الأغراض الأخرى من حيث الكم والكيف، وقد مثل المحاضر لذلك بنماذج شعرية توسلية للشاعر ابن موسى.

كما أفاد المحاضر أن ما لفت نظره في ديوان ابن موسى الترجمة؛ فذكر أنها من أجمل ما يمكن أن يُقرأ، ذلك أن الشاعر ابن موسى كان يقرأ نصا باللغة الإسبانية فيترجمه إلى العربية، لكنه لا يكتفي بالترجمة المعنوية، وإنما يُخْضِع النص لصياغة تبرز كفاءته النظمية. ثم أشار الدكتور عبد اللطيف شهبون أن تجربة ابن موسى تجربة غنية من حيث كونها تُبْرِزُ للقارئ المهتم أهمية هذا الرجل، فتراث ابن موسى يخاطب المهتمين بالنقد، ويخاطب كذلك المهتمين بتاريخ المغرب بصفة عامة والمنطقة الخليفية بصفة خاصة. وحياة هذا الرجل لا بد أن تكون موضوع نظر فقد وفد من مراكش إلى تطوان وقدم خدمة جليلة للارتقاء بالذوق الأدبي بالترجمة.

وختم المحاضر ورقته بأنه يعد هذه اللقاءات عملا وظيفيا في منتهى الأهمية، فهو يخرج المركز إلى مجال معرفي مفتوح.

وقدم القراءة الثانية للكتاب الدكتور نجيب العوفي الذي عبر في البداية عن سروره لحضوره في هذا العَرين الثقافي الرصين مركز ابن أبي الربيع السبتي، شاكرا الدكتور محمد الحافظ الروسي، وذاكرا أن سروره في هذا اللقاء بقيمة مضافة ومضاعفة، مستهلا مداخلته بأنها عرض وصفي للمشروع الذي تقدم به الدكتور يونس السباح حول الأعمال الأدبية الشعرية والنثرية لأديب الوزراء ووزير الأدباء محمد بن عبد القادر ابن موسى، وقد عنون عرضه بـ«عودة ابن موسى»، فذكر أنه يعود إلينا أديب الوزراء ووزير الأدباء محمد بن عبد القادر ابن موسى هذه المرة أديبا شاعرا وناثرا عازفا على أوتار القوافي وناثرا رنين الأسجاع، ووراء هذه العودة الأدبية الميمونة لابن موسى الباحث يونس السباح، الذي على يده كتبت حياة جديدة وموصولة لابن موسى. وقد تطرق المحاضر لعدة تساؤلات أثارت الباحث يونس السباح في مقدمة منجزه عن ابن موسى. كما أشار الدكتور نجيب العوفي أن هذا الحفر الجميل في الذاكرة الثقافية الشمالية يقدم مثالا بهيا لتواصل الخلف مع السلف، كما يشكل خلفية مرجعية لثقافة الباحث وتكوينه، إضافة إلى أن هذا الحفر يقتضي عُدّة علمية وأدبية متينة لخوض غماره، وهو ما توفر لدى الباحث الذي امتلك مفاتيحه.

وفي معرض حديثه عن هذه الكتب ذكر المحاضر أن بين يديه ثلاثة كتب متضافرة ومتآزرة حول الأديب الوزير ابن موسى أحاطت بحياته وآثاره إحاطة السوار بالمعصم، أعدها وسهر على جمعها وتحقيقها وترتيبها وتقديمها والتعليق عليها الباحث يونس السباح. وعَدّ المحاضر أسماء هذه المصنفات: وهي محمد بن عبد القادر ابن موسى أديب الوزراء ووزير الأدباء سيرته وآثاره، ديوان شعر العلامة الأديب محمد بن عبد القادر ابن موسى، ورحلة لنقل جثمان السلطان مولاي عبد العزيز العلوي من طنجة إلى فاس عام 1943م الموافق لـ 1362هـ، للوزير الشاعر محمد بن عبد القادر ابن موسى، وهو تقرير نثري كتبه المؤلف عن الرحلة العزيزية.

وذكر المحاضر أن الكتاب الأول موسوعة ضافية عن حياة ابن موسى وآثاره وعلاقاته ونشاطاته الأدبية مدعّمة بالوثائق والصور. والكتاب الثاني مرصود لشعر الشاعر جمعا وترتيبا وتعليقا. أما الكتاب الثالث

فمرصود لنثره من خلال الرحلة العزيزية تقديما وتحقيقا، وهي رحلة مزدانة بالصور والوثائق والجذاذات النادرة. وأشار المحاضر إلى أن الدكتور يونس السباح اعتمد الصورة باعتبارها أيقونة العصر الآن، ذلك أن الصورة تنافس المكتوب. وأضاف الدكتور نجيب العوفي أنه إذا كان ابن موسى هو القطب المحوري لهذه الكتب الثلاثة، فإنها تشكل إلى ذلك أرشيفا تاريخيا نادرا عن مرحلة مفصلية في تاريخ المغرب الحديث. وذكر أن ما يزيد هذه الكتب أهمية هو تعزيزها بالصور والوثائق النادرة. كما أشار المحاضر أن هذه الكتب الثلاثة من الصعب الإلمام بها، ثم وقف عند ديوان الشاعر محمد ابن موسى فذكر أن المحقق يونس السباح اعتمد نسخة الديوان المخطوطة لابن موسى المحفوظة بالمكتبة العامة بتطوان، ثم قرأ المحاضر بعض الصفحات من المقدمة، التي من خلالها نوّه بالطابع الأدبي للغة الباحث؛ ومَرَدّ ذلك في نظره يعود إلى طول معاشرته لهذه النصوص التراثية القديمة واحتكاكه بها، كما استقى المحاضر من هذه المقدمة أن الشيخ محمد بوخبزة رحمه الله ذلل الطرق الوعرة أمام الباحث، بالإضافة إلى قيام الباحث بالقراءة الفيلولوجية للنص شرحا وتفسيرا وتعليقا، وهذا ليس بالعمل الهين. كما أشار المحاضر أن الباحث يوجز لنا الخطوط العريضة للمتن الشعري في الديوان من خلال بعض العبارات في مقدمة الديوان. ثم ذكر أن ابن موسى جمع بين كتابة الشعر وكتابة النثر بحكم وجوده في بلاط الخليفة السلطاني؛ حيث كان يُكلَف بكتابة الرسائل والتواقيع المخزنية، وهي ديباجة أدبية خطابية جديرة بالطبع والدراسة والتحقيق والتحليل وفق المناهج الأدبية والنقدية الحديثة، وسواء في شعره أو نثره يبقى ابن موسى مشدودا إلى الديباجة المغربية البلاغية التبليغية ذات المسْحة الفقهية التي لا ترقى إلى المستوى الفني الشعري لشعر بعض نظرائه من الأدباء والوزراء ونثرهم. وخلص المحاضر إلى ملاحظة أخيرة، وهي أن نثر ابن موسى ليس على نسق واحد، ففي الرحلة العزيزية التي كتب تقريرها ذكر أنه لا نعدم تحررا من الأعراف الرسمية والمحسنات البلاغية وإرسال الكلام على رَسْلِه إلى الدرجة الصفر في الكتابة حسب تعبير رولان بارت، وساق لذلك مثالا أحصى فيه هفوات لغوية نَدّت عن الرجل على غفلة منه كما ندت عن باحثه ومحققه.

وختم الدكتور نجيب العوفي ورقته بأن ما نستفيده من حياة أديب الوزراء ووزير الأدباء محمد ابن موسى هو ما استفدناه من نظيره الأندلسي ذي الوزارتين لسان الدين بن الخطيب من أن الأدب والفكر إلى دوام وبقاء: {فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ}.

أما الكلمة الثالثة في الكتاب فقدمها الدكتور يونس السباح مفتتحا مداخلته بشكره لرئيس المركز الدكتور محمد الحافظ الروسي، مستهلا حديثه بأن له مع الوزير محمد ابن موسى قصة طويلة نشأت منذ أن كان طالبا في معهد الإمام الشاطبي للتعليم العتيق حيث كان يحدثه عنه الشيخ محمد بوخبزة رحمه الله، ثم بدأ يقرأ عليه من شعره، ثم بعدها بدأ بالبحث إلى حدود سنة 2009م، وتوقف عن الدراسة فرجع إلى ديوان محمد ابن موسى فكتبه من جديد في نسخته، وكان يقرؤه عليه من نسخته، فكان يجلي له بعض الأمور، ثم أنهى الدكتور يونس السباح مسيرته الدراسية الأكاديمية فسجل أطروحة أخرى بمشورة من أساتذة فضلاء وكلل هذا العمل بالنجاح. وذكر أن من دواعي اختياره لهذه الشخصية الغموض الذي كان في الرجل وهو يبحث عن سيرته، حيث كان يجده متمكنا أمكن، فدراسته كانت دراسة متينة، كما أشار إلى أن شيوخه كانوا غير معروفين، وحتى إجازات شيوخه كانت قليلة جدا.

أما الغموض الثاني الذي تحدث عنه الدكتور يونس السباح فكان من ناحية الوظيفة، ذلك أن ابن موسى جاء من الجنوب تاجرا إلى مدينة العرائش ثم تصاهر مع أكبر شخصية في العرائش هو الفضيل ابن يعيش، ولما أصبح مكان مدير ديوانة العرائش شاغرا كتب رسالة للصدر الأعظم آنذاك محمد ابن عزوز فطلب منه هذا الوظيف فأعطاه وظيف أمين ديوانة العرائش، وهنا بدأت رحلة ابن موسى. وأشار المحاضر إلى أنه في هذه المرحلة العرائشية نجد له ذكرا في موضعين: الموضع الأول في الرسميات سنة 1925م، وذلك لما جلس الخليفة السلطاني الحسن بن المهدي على كرسي الخلافة ونُصّب رسميا هناك بقصيدة نشرتها جريدة الإصلاح. وفي سنة 1928م حين شارك ابن موسى في الأسواق الأدبية بقصيدة سينافسه عليها الأستاذ محمد ابن داود .ثم بعد هذه المدة ظل في العرائش إلى سنة 1937م، وهناك سيُرقّى ابن موسى من أمين الديوانة في العرائش إلى وزير الأوقاف إلى حدود سنة 1954م وفي هذه الفترة سيصاحب ابن موسى الشاعر الأمراء والوزراء وسيستقبل الوفود وسيكون موجودا في الرسميات وفي المناسبات كالمولد النبوي، وسيصبح لسان الخليفة السلطاني الحسن بن المهدي، كما أن ابن موسى في هذه الفترة سيبدأ رحلة أخرى حيث ستكون له مع الخليفة الحسن بن المهدي علاقة وطيدة وصِلة وصل بينه وبين زوجه فاطمة الزهراء العزيزية ابنة السلطان مولاي عبد العزيز.

ثم تطرق الدكتور يونس السباح إلى القصيدة الطويلة التي كتبها ابن موسى عندما نفي الملك الراحل محمد الخامس رحمه الله إلى المنفى بعنوان «ألا هكذا فليكسب المجد كاسبه» وقد نشرها عبد الله كنون بعد وفاة ابن موسى في دعوة الحق، ولما عاد محمد الخامس من المنفى شُكلت وزارة أخرى في الحكومة الخليفية ولم يعد ابن موسى وزيرا آنذاك.

وذكر المحاضر أنه بالرجوع إلى الديوان وما كتبه ابن موسى نجده نخبويا في كل شيء، تجلى ذلك في تفاعله مع بعض الطبقات التي كان يتحدث إليها، وقد سرد أسماءهم جميعا.

ثم ذكر المحاضر أن ما قام به لا يُعد دراسة في تراث الرجل بقدر ما يعد تجميعا أو لَبِنَةً أولى لانطلاق البحث عن الرجل، وأضاف كذلك أنه ينبغي أن يُقرأ سياسيا، حيث كانت للوزير ابن موسى أخبار سياسية وكان على رأس وزارة الأوقاف، فحين عُيّنَ وزيرا للأوقاف وضع منهاجا وضابطا للأحباس في غاية الدقة، وأسس لها مجلة تسمى الجريدة الرسمية لوزارة الأوقاف، حيث وضع لها مقدمة بأسلوب عال، ووضع لها منهاجا في ذلك، وفي هذه المجلة كان يكتب الظهائر والإعلانات وما إلى ذلك.

وخلص الدكتور يونس السباح إلى أن الرجل ينبغي أن يُدْرس من جهات متعددة، كما ينبغي أن يدرس أيضا من الناحية الصوفية الروحية، لأنه كان رجلاً مبتهلا ومتعلقا بربه عز وجل، وهو أمر نجده في شعره، ونجده في تعلقه بالأسرة المعينية التي تربى في أحضانها لما كان في فاس، والعلاقات التي كانت بين هذه الأسرة وبينه إلى أن توفوا جميعا.

وختم الدكتور يونس السباح مداخلته بأنه وضع اللّبنَةَ الأولى وفتح الباب وأسس هذا المشروع، وكل هذا لم يكن ليَتِمّ لولا رجال ممن أفادوا وصححوا وأمدّوا ونصحوا، وكان على رأسهم ممن حضر أو لم يحضر من لجنة المواكبة للعمل وأساتيذها، وممن توفاهم الله عز وجل ممن أمده بأرشيفاته، وعلى رأسهم العلامة محمد بوخبزة. شاكرا في الختام كل من أسهم في هذا الموضوع.

وقد أعقبت هذه القراءاتِ مناقشاتٌ علمية شارك فيها مجموعة من الأساتيذ والطلبة والباحثين الذين حضروا هذا اللقاء العلمي، ثم كانت الكلمة الختامية للدكتور يونس السباح الذي أجاب عن بعض ما اكتنف تقديم الكتاب من غموض أسهم في إثارة الأسئلة.

المرحوم الدكتور محمد مفتاح

ذاكرة علمية وإنسانية

• عبد الحي مفتاح

احتضنت قاعة الندوات بالمجلس العلمي المحلي بطنجة ندوة تكريمية تحت عنوان «المرحوم الدكتور محمد مفتاح: ذاكرة إنسانية وعلمية» من تنظيم مؤسسة عبدالله كنون للثقافة والبحث العلمي، وكلية الآداب والعلوم الإنسانية بتطوان ومؤسسة أجيال ملتقى البحرين للدراسات وبناء القدرات بطنجة، وذلك مساء يوم السبت 11 ذي القعدة 1446ه الموافق ل 10 ماي 2025م.

شارك في هذه الندوة الدكتور الطيب الوزاني الشاهدي عميد كلية الآداب والعلوم الإنسانية بتطوان، والدكتور محمد كنون الحسني رئيس مؤسسة عبدالله كنون، والدكتور أحمد هاشم الريسوني رئيس شعبة اللغة العربية بكلية الآداب والعلوم الإنسانية بتطوان، والدكتور مصطفى الزباخ مقرر أكاديمية المملكة المغربية، والدكتور عبداللطيف شهبون رئيس مركز أجيال، والدكتور قاسم الحسيني أستاذ سابق بكلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، متخصص في اللغة والأدب والحضارة الأندلسية، والدكتور عبدالسلام شقور أستاذ سابق بكلية الآداب بتطوان وباحث في الأدب المغربي الأندلسي، والأستاذ محمد بن يعقوب باحث في تراث شمال المغرب وشفشاون بالأخص، والدكتور مؤنس مفتاح نجل المكرم، أستاذ زائر بمعهد الملك فهد للترجمة.

الشهادات القيمة المشفوعة بفيض من الدفء الإنساني التي قدمها المشاركون أحاطت بمختلف جوانب شخصية الدكتور محمد مفتاح الإنسانية وكذا مساره الأكاديمي والعلمي، كأحد الأعلام البارزين في المغرب المعاصر ممن اهتموا بالتراث الأندلسي بصفة خاصة والتراث المغربي الأندلسي بصفة عامة.

الدكتور محمد كنون الحسني الذي أدار الندوة بالنباهة والفصاحة المعهودتين فيه، أكد أن هذا التكريم يندرج في باب البرور بأعلام منطقة الشمال كما يجسد ثقافة الاعتراف من خلال التذكير بما أسداه هؤلاء للبحث العلمي والتعريف بالتراث الثقافي في بلدنا، مبرزا أن هذا التوجه يستمد روحه مما رسخه منارة أعلام المغرب العلامة عبدالله كنون، رحمه الله، الذي كان له السبق في تسليط الضوء على النبوغ المغربي.

وأبرز في هذا الإطار أنه تعرف على المكرم منذ ما يربو على الأربعين سنة، وهو في بدايات اشتغاله كأستاذ بكلية الآداب بفاس يتحلق طلبة الشمال حوله وحول شيخه الدكتور عبدالسلام الهراس والعلامة الدكتور محمد بن شريفة وأمثالهم من قبله؛ يستنيرون بعلمهم وينهلون من معرفتهم ويهتدون بتوجيهاتهم، ليصبحا زميلين، بعد ذلك بسنين، بكلية الآداب بتطوان. وتتجدد الروابط واللقاءات العلمية والأخوية بينهما.

ونوه الدكتور محمد كنون الحسني في سياق الحديث بكرم الدكتور محمد مفتاح الإنساني والعلمي، ومساهماته المتميزة في تأطير أجيال من الباحثين في التراثين الأندلسي والمغربي الأندلسي، ولاسيما في مجال التحقيق الذي استأثر باهتمامه وبرع فيه كمجال اختصاص آثر البحث فيه، مؤكدا أن كل لقاء بالراحل الدكتور محمد مفتاح كان يشكل فرصة لاستجلاب فائدة تهم علما أو اسم مكان أو مخطوطا إلخ، كما أن مراجعاته الدقيقة للنصوص التي ينجز تحقيقها الباحثون من الطلاب في أطاريحهم وإضافاته عليها تكون بمثابة بصمة على جودة المنتوج.

الدكتور الطيب الوزاني الشاهدي عميد كلية الآداب والعلوم الإنسانية، عبر عن سعادته، باسم الكلية التي يمثلها، بالمشاركة في هذا المجلس العلمي المنيف الذي يضم خيرة الباحثين والمتخصصين في التراث الأندلسي والمغربي وفي أدبهما، وتقترن هذه السعادة كذلك، يقول السيد العميد، بكون المكرم رحمه الله، كان أحد أعمدة كلية الآداب والعلوم الإنسانية بتطوان، تتلمذت على يده وتخرجت أفواج من الطلبة الباحثين حيث كان خير مؤطر وموجه لهم خاصة في مجال التحقيق والتراجم والأعلام وما إلى ذلك، وكان بذلك مثالا للأستاذية الحقة والإخلاص للرسالة التربوية الملقاة على عاتقه حيث للم يبخل قط في البذل والعطاء معتمدا على منهج رصين في التأطير دون تشدد.

وأشار السيد العميد أن أثر المكرم تعدى المغرب حيث كان معروفا عند نظرائه من العرب كما عند المستعربين، وذكر في هذا السياق أن الدكتور محمد مفتاح عرف في مجال التخصص الذي تميز فيه لدى زملاء بجامعة محمد الخامس بأبي ظبي التي كان يشغل بها منصب أستاذ زائر.

ونوه السيد العميد بشكل خاص بالمنهج المغربي المتفرد الذي اعتمده الراحل في تحقيقه لكتاب «العطاء الجزيل في كشف غطاء الترسيل»، وهو منهج أخذه عن شيوخه أمثال العلامة محمد بن شريفة والعلامة عبدالسلام الهراس رحمهما الله، حيث مما ميز هذا المنهج عدم الإطالة في الدراسة والاكتفاء فيها بالأهم مما يرتبط بصاحب النص وسياقه...، والتركيز بشكل واف على نسيج النص وتضميناته لإخراجها وإبرازها، وإضافة الفهارس الدقيقة والشاملة.

ونبه الدكتور الطيب الوزاني الشاهدي أن الدكتور محمد مفتاح كان على اطلاع واسع بما تحتويه المكتبات المغربية وغير المغربية من مخطوطات ولواه لما نفض الغبار ولما كشف عن عدد غميس منها، وأنه إلى جانب اهتمامه بالتراث الأندلسي كان مطلعا متمكنا من التراث المغربي والعربي عامة وبذلك كان ينحو إلى الموسوعية كعدد كثير من الأعلام في الثقافة العربية شرقا وغربا.

الدكتور عبداللطيف شهبون جدد التذكير بأن اللقاء التكريمي يندرج في إطار برنامج يتضمن سلسلة من الحلقات للتعريف بمجموعة من أعلام الشمال المعاصرين، المتوفون منهم والأحياء، وإبراز إسهاماتهم العلمية والأكاديمية والتربوية وتثمينها وإماطة اللثام عن ما خلفوه من أعمال وفتحوه من مشاريع علمية وأكاديمية تحتاج إلى من يواصل الطريق لإتمامها، مؤكدا أن هذه الحلقة التكريمية الأولى هو تقدم باقة عرفان مستحق لذات عزيزة من أبناء منطقتنا، وهي ذات الدكتور محمد مفتاح العمراني رحمه الله.

وأشار رئيس مركز أجيال التابع للرابطة المحمدية أن معرفته بالمكرم ترجع إلى مرحلة الثانوي، حيث كانا يدرسان معا بثانوية القاضي عياض، وكان المرحوم محمد مفتاح آنذاك يدرس بقسم الباكالوريا وهو من أصغر التلاميذ في حين كان هو-الدكتور عبداللطيف شهبون- يدرس في السنة الرابعة، وقد اشتركا في التتلمذ على نفس الرعيل من الأساتذة الأجلاء المغاربة والمشارقة والأجانب من الأوروبيين، ثم التقيا بعد ذلك بسنتين بكلية الآداب بفاس تحيطهما، ضمن لفيف مقرون، عناية خاصة من ابن شفشاون البار الراحل الشيخ العلامة الدكتور عبدالسلام الهراس، وقد اشتركا في هذه المرحلة أيضا من النهل من نفس المنابع العلمية والأكاديمية، وشاءت الصدف بعد سنوات أن يتقدم الدكتور عبداللطيف شهبون بأطروحة لنيل شهادة الدكتوراه بإشراف من العالم الجليل محمد الكتاني، ويكون الدكتور محمد مفتاح ضمن اللجنة العلمية للمناقشة.

وعرج الدكتور عبداللطيف شهبون في شهادته، مختصرا، على الإسهام العلمي والأكاديمي للمكرم ومشاريعه التي لم تكتمل والتي تسائل الباحثين الجامعيين في التراث والثقافة الأندلسية والمغربية والشباب منهم خاصة، متوقفا بشكل خاص على عمله الذي قدمه كأطروحة لنيل شهادة الدكتوراه بجامعة كمبلوتنسي بمدريد تحت إشراف الباحثة المعروفة في التراث والحضارة بالأندلس ماريا خيسوس فيغيرا؛ وهو تحقيق كتاب «العطاء الجزيل في كشف غطاء الترسيل» لأبي القاسم أحمد بن محمد البلوي الإشبيلي(657-575ه) الذي لم يصل من أبوابه العشرين سوى ستة في نسخة فريدة غير واضحة تماما اعتمد عليها الباحث مع اللجوء إلى نصوص قريبة لتلك الحقبة ليصل إلى ما وصل إليه في إعادة بناء النص المحقق، الغني بمحتواه في السياسة والاجتماع وقضايا الفن إلخ، و في هذا الاتجاه أبرز الدكتور عبداللطيف شهبون أن المسلك الذي سلكه المكرم في تحقيق النص مسلك فريد ودقيق، استقطر واستخرج من خلاله ما يزخر به نسيجه من تضمينات وأمثال وغير ذلك من الإشارات والفوائد.

وختم الدكتور عبداللطيف شهبون شهادته بإبراز الخصال الإنسانية للمحتفى به الذي منحه الله كرم البشاشة والابتسامة، وبذلك، يقول الدتور عبداللطيف شهبون، حظي، رحمه الله وأكرم مثواه، بقبول ومحبة لدى كل من صاحبوه، وعرفوا أو تعرفوا عليه واحتكوا به.

الدكتور عبد السلام شقور أثنى بدوره على الخصال العلمية والإنسانية للمرحوم محمد مفتاح، مبرزا اختياره المبكر، هو وعدد قليل من مجايليه، للمسار الأكاديمي والعلمي الذي سلك دربه، والمتمثل في البحث في مجال التراث والثقافة الأندلسية..، وهو الاختيار الذي قاده إلى الاطلاع على ما تزخر به المكتبات داخل المغرب وخارجه خاصة بإسبانيا الذي أعد فيها أطروحة دكتوراه،

منوها بتمكنه من علم التحقيق ومعرفته بخباياه ودقائقه، مشيدا باتساع معرفته، واصفا إياه بأنه كان، رحمه الله، بمثابة مكتبة متنقلة، ينهل منها الباحثون والطلبة على حد سواء.

الدكتور مصطفى الزباخ أحد زملاء المكرم في مرحلة مبكرة، ألقى شهادة مؤثرة جمعت بين النثر والشعر، حيث ذكر نثرا بالمحطات التي رافق فيها المرحوم محمد مفتاح؛ وهي محطة المنحدر الجبلي الشمالي التي تشبعا فيها بقيم الصداقة والصدق والخير والعمل، ومحطة الدراسة الجامعية التي تتلمذا فيها على خيرة شيوخ الدراسات المغربية والأندلسية خاصة والعربية عامة، فامتلكا مفاتيح التحصيل والبحث والتفكير، وتعلما أن العمل الفكري والعلم ليس مخبز تجارة ولا مركزا أو حزبا سياسيا بل رسالة مقدسة، وانتصرا إلى مدرسة العلم والقيم لا إلى علم بدون قيم أو قيم بدون علم.

أما المحطة الأخيرة التي التقيا فيها، يقول الدكتور مصطفى الزباخ، فهي محطة التفكير الاستراتيجي الوطني حيث آمنا معا أن التاريخ الفكري والحضاري للمغرب لا يكتمل إلا بما تناثر وتفرق في المدن المغربية كلها وليس في مدن مركزية معينة، وبالتالي تشاركا، مع ثلة من أباء المدينة والإقليم، في إطلاق مبادرة إعداد موسوعة للحضارة والثقافة خاصة بمدينة شفشاون ونواحيها، وقد أسهم الراحل الدكتور محمد مفتاح بإعداد ببيبلوغرافية مهمة للمشروع حمل همها معه إلى رمسه.

وألقى الدكتور مصطفى الزباخ قصيدة يرثي فيها المكرم، موضحا أنه آثر أن تكون شهادته من القلب والوجدان، وسمى القصيدة ب «رثية لرفيق الفكر الدكتور محمد مفتاح» مطلعها:

آت إليكم خطى يهدها السقـم منـهـــار، شبـح تجـره قـدم

وفيها:

مفتاح العلم جئت باكيا حزنـــا أجر جسمـا بهول المـوت منكسر

أرثيك أم أرثي علـوم أندلـــس من كان مربطـه يهـدي ويبتكـر
هذه البلابل تبكي في مجالسهـا موسوعة الفكر، هل يبقى لنا أثـر
سل المدينة عن أبنائها النجـب من كان منهم مناه الذكر والقلـم
من أفنى عمره في العلم مؤتمـرا يمضي به في (عراق) القوم ينتصـر
قد كنت شمسا بنور العلم منشغلا تجري على نـهـرك الأنـوار والدرر
شفشاون الخير عدت نائح الوكـر على رفيـق رماه الموت والقـدر

وختمها ب:

يا ابن أندلس ضعنا وضاعت بكم مدارس البحث، فهل تبقى لنا همم
يهنيك مفتاحنا في الخير والفكـر فلم تكـن بعلـوم الديـن تتجـر
واهنـأ بجنتك الفيحـاء في نعـم جزاؤكـم، من بعلمكم هـم نظـروا

الدكتور قاسم الحسيني أحاط في شهادته بالجوانب العلمية والأكاديمية التي ميزت المكرم، مؤكدا أنه يستحق مثل هذه الالتفاتة والعناية، متحدثا عن الفترة التي ترأس فيها مركز الدراسات والأبحاث الأندلسية التي كانت فترة زاخرة نظمت فيها دورات كان يستدعى إليها علماء وباحثون ومتخصصون من جميع مناطق المغرب وكذا من إسبانيا، وكانت تصدر عنها توصيات ونتائج ذات فائدة كبيرة لا تهم الأدب، شعره ونثره فقط، بل التاريخ والفلسفة وباقي فروع المعرفة بعدوتي الأندلس والمغرب، إذ كما هو معروف فالأندلس والمغرب أصبحا دولة واحدة منذ عهد يوسف بن تاشفين.

كما تناول الدكتور قاسم الحسيني في شهادته الجانب الأكاديمي من شخصية المكرم سواء ما تعلق بتكوين وتأطير أجيال من الباحثين والطلبة، أو ما ارتبط بمجال التحقيق ودراسة قضايا المخطوط وهو المجال الذي تفنن فيه وبرع وتميز، يقول الدكتور الحسيني، حيث طبقت شهرته الآفاق، وقد تجسد ذلك في أطروحته للدكتوراه التي انصبت على مخطوط لشخصية من القرنين 6 و7 الهجري وهي فترة لم يصلنا منها إلا مصادر قليلة.

ونوه الدكتور قاسم الحسيني في هذا السياق بدقة علم المكرم وسعة معرفته بعلم التحقيق والمخطوط، مشيرا إلى كرمه في نقل ما لديه من علم ومعرفة لطلبته وهو ما وقف عليه لما كان مديرا لمختبر الدراسات المغربية الأندلسية بكلية الآداب بالرباط التابعة لجامعة محمد الخامس، عند استدعاء المرحوم لتأطير الطلبة الباحثين، حيث كانت الحصص دائما تتجاوز الزمن المخصص لها بكثير.

واعتبر الدكتور قاسم الحسيني أن قلة التأليف والنشر يشترك فيها كل الذين تخصصوا في التحقيق مشرقا ومغربا لكونهم يدققون كثيرا في نحث الكلمة والجملة والنص حتى لا يقعوا في مثالب...، وهم بذلك يعدون الأرضية الخصبة لدارسي النصوص الذين سيأتون بعدهم، وفي هذا الصدد أرجع الدكتور الطيب الوزاني الشاهدي قلة التأليف إلى انشغال المكرم بالتدريس والتأطير ونقل العلم والمعرفة إلى أجيال من الباحثين، كما اعتبر الدكتور عبداللطيف شهبون أن قلة التأليف تعود ربما إلى الروية على اعتبار أن التأليف الكثير قد ينتج عنه شر كثير.

الدكتور هاشم الريسوني وقف على جوانب من شخصية الدكتور محمد مفتاح الذي كان زميلا له في كلية الآداب بتطوان مؤكدا أن الجانب الإنساني هو الأهم، وأن المكرم جمع في شخصيته بين قيم العلم والقيم الإنسانية، كما اجتمعت في شخصه بلاغة الخطيب وقوة نفسه، ودقة المحقق وموسوعية المثقف، مشيرا إلى أن الجلوس إلى المرحوم كان يحقق المتعة والفائدة في نفس الوقت، إذ تزخر استطراداته بالنكت والمزح والنوادر...، وهو ما يخفف من صرامة العلم وميزان المعرفة وتلقيهما.

الدكتور هاشم الريسوني أشار في شهادته إلى أن المكرم كان هو المرجع والمصدر والموجه فيما يتعلق بدراسة المخطوطات وعلم التحقيق منذ إنشاء وحدة النص العربي القديم بكلية الآداب بتطوان، كما أشار إلى أنه كان موسوعيا ويحيط بالمصادر والمراجع، ويتحقق ما أمكن من توفر شروط البحث النزيه عند إحالة الأطاريح التي سيشارك في مناقشتها عليه، متثبتا من عدم وجود سرقة علمية أو ما شابه ذلك.

الأستاذ الباحث محمد بن يعقوب قدم ترجمة للمكرم عنونها ب «الدكتور محمد مفتاح تلميذا وأكاديميا بشفشاون» حيث تحدث عن تاريخ ومكان ميلاده (10 ربيع الثاني 1365 الموافق ل 14 مارس 1946 بمدشر بوحلة الذي يبعد عن شفشاون قرابة 30 كلم) وأصول الأسرة، والوسط العائلي المحافظ الذي تربى فيه، وأفرد حيزا خاصا لوضعية الأب وتكوينه الديني والعلمي، متتبعا مسار المكرم الدراسي الذي درس الابتدائي بالمدرسة العصرية بباب تازة، حيث كان يشتغل الأب مدررا، والإعدادي بإعدادية المشيشي بشفشاون (السنة الأولى 1958) ثم الثانوي بثانوية القاضي عياض ليحصل بها في الموسم الدراسي 1965/1964 على شهادة الباكالوريا. وانتقل الأستاذ محمد بن يعقوب إلى الحديث عن المرحلة التي عاد فيها المكرم إلى شفشاون في التسعينات، والتي تمتد من سنة 1992 إلى سنة 1999 حيث عين مديرا لمركز الدراسات والأبحاث الأندلسية خلفا لزميله الدكتور سعيد بن الأحرش رحمه الله، ثم شغل بالإضافة إلى المنصب الأول منصب المندوب الإقليمي للثقافة بشفشاون (سنة 1997) خلفا للإطار الكفء والقدير الأستاذ مبارك ريان. ونوه الأستاذ ابن يعقوب بالدينامية التي عرفها المركز خلال هذه السنوات، واصفا المكرم بأنه كان «الرجل المناسب في المكان المناسب»، حيث نظمت خلال رئاسته للمركز عدة دورات دراسية وطبعت كذلك كتب لها صلة باختصاص المركز وإشعاعه في مجال الدراسات والأبحاث في التراثين الأندلسي والمغربي الأندلسي، ليخمد وهج هذا المركز بعد استقالته رحمه الله.

الدكتور مؤنس مفتاح نجل المرحوم، تحدث في شهادته عن الفضائل الإنسانية والعلمية لأبيه المكرم الذي يعد قامة من قامات المغرب المعاصر في مجال البحث في التراثين الأندلسي والمغربي الأندلسي، مبرزا تفاني الراحل في خدمة العلم والمعرفة بأخلاق عالية، مبرزا ما قدمه للبحث العلمي والطلبة والباحثين من خدمات جليلة محتسبة عند الله، منفقا من ماله ووقته في سبيل رفع راية العلم وتحقيق الرسالة التربوية والأكاديمية التي نذر نفسه لها.

وأبرز الدكتور مؤنس الميراث المشرق الذي خلفه المرحوم محمد مفتاح في المجال الذي اهتم به واشتهر فيه، والذي طبع منه عملا وحيدا وما زالت الأعمال الأخرى في طور الإعداد، متمنيا أن ترى النور قريبا. واعتبر أن أكبر ميراث لأبيه رحمه الله هو ما تلهج به المجالس من ذكر حسن له وما تضمره القلوب من واسع المحبة لشخصه، وكذا ما تركه من علم ينتفع به من طرف الباحثين والطلبة الذين تتلمذوا عليه. وشكر، باسم أسرة المرحوم الدكتور محمد مفتاح وعائلته، كل الساهرين على تنظيم هذا اللقاء التكريمي كما شكر رئيس المجلس العلمي المحلي لطنجة أصيلة على قبوله باحتضان أشغاله، كما حيى تحية تقدير ومودة كل الذين بقوا أوفياء لذكرى المرحوم، ممتنين، مقدرين لمكرماته التي لا تعد ولا تحصى، والتي مازالت عطرة فواحة في كل الربوع التي حل بها.

هذا وتجدر الإشارة أن هذا اللقاء التكريمي المبارك افتتح بآيات بينات من الذكر الحكيم، وحضره جمهور من العلماء والباحثين والطلبة، وأصدقاء المرحوم ومعارفه بالإضافة إلى أسرته وأفراد عائلته.

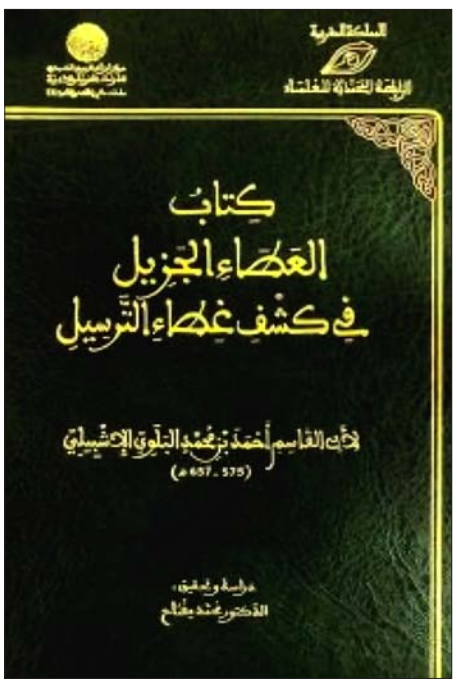

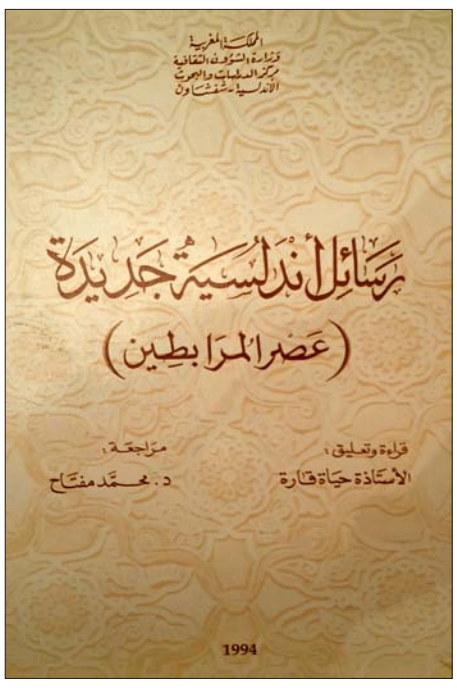

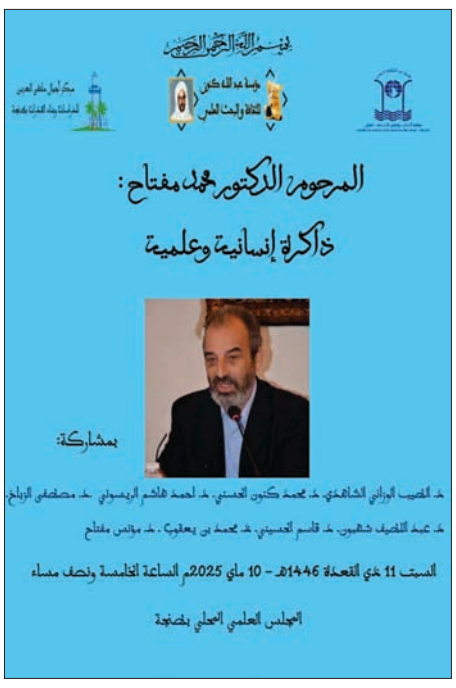

Chronique - Chronique - Chronique - Chronique - Chronique -

Ahmed Beroho

écrivain et journaliste

Divorce Russie-Algérie

Le président russe intervenant lors du Sommet Russie - Afrique 2023

La Russie a, le vendredi 9 mai courant, célébré le Quatre-vingtième anniversaire de la victoire des Alliés sur l'Allemagne nazie lors de la Seconde Guerre mon- diale, commémoration célébrée par un défilé militaire grandiose auquel ont assisté tous les amis de la Russie, dont le président chinois Xi Jinping, sauf l'Algérie qui n'a pas été invité à cette manifestation, la plus grande de l'histoire militaire de la Russie.

Les causes de cette mise à l'écart de l'Algérie par le Président Vladimir Poutine :

1- **La dégradation des relations algéro-russes de- puis le mois de juin 2023 : début de la contre-offensive ukrainienne contre la Russie ;**

2- **La philosophie de la politique extérieure algérienne fondée sur le machiavélisme pur et dur ;**

3- **La position d'Alger vis-à-vis de la guerre en Ukraine, qui déplaît à Moscou ;**

4- **La posture de l'Algérie, favorable à l'Ukraine pour plaire aux Etats-Unis ;**

5- **Le souhait de l'Algérie d'avoir les Etats-Unis d'Amérique à ses côtés pour se libérer de l'influence de la Fédération de Russie :**

6- **La révision russe de sa relation avec l'Algérie qui a perdu toute audience à l'échelle mondiale ;**

7- **Les mutations géopolitiques au Grand Maghreb et au Sahel, où l'Algérie cherche à minimiser l'influence de la Russie.**

Remarque :

Le froid des relations algéro-russes a commencé en juillet 2023, quand, malgré les pressions de l'Algérie, le Président Vladimir Poutine, avait refusé d'inviter l'organisation terroriste, dite Polisario, au sommet Russe-Afrique, où le Grand Royaume du Maroc était en vedette ; et pour cause ! N-a-t-il pas le leadership en Afrique !

قمـــة ملتهبـــة بين وداد طنجـــة والشبـــاب الحسيمـــي

ستكون الجولة الـ30 والأخيرة من بطولة القسم الثاني هواة مجموعة شطر الشمال الشرقي، حاسمة لتسمية الفريق الصاعد إلى القسم الأول هواة،حيث يتنافس على تأشيرة الصعود المباشر فريقان من عصبة جهة طنجة تطوان الحسيمة، المتصدر وداد طنجة برصيد 52 نقطة، والمطارد شباب الريف الحسيمي21 نقطة، وخلفهما على مسافة قصيرة فريق نجم ميضار 50 نقطة ، لذلك ستكون مهمة الفريقين الطنجي والريفي صعبة للغاية ، باعتبار أن فارق نقطة بينهما يضعهما تحت ضغط كبير خوفا من التعثر في مواجهة تعد حساسة وصعبة على الفريقين في الجولة الأخيرة للموسم الكروي 2024-2025.

المباراة التي تقام عصر يومه السبت ابتداء من الساعة الرابعة بملعب الزيتات 2 ، تتصدر واجهة مباريات الجولة الختامية ولا تقبل القسمة على اثنين، وبالتالي يخشى فيها الفريقان على نفسهما من أن يتعرضا للهزيمة ، وما بين المواقف الصعبة والتحديات الكبيرة التي تفرضها طبيعة المباراة الحاسمة في الموسم، ينزل الفريقان المستطيل الأخضر برغبة مشتركة في الفوز بهذه المواجهة الصعبة.

وسيكون متصدر مجموعة الشمال الشرقي ودادطنجة ،أمام موعد تاريخي لاقتطاع تذكرة الصعود المباشر إلى القسم الأول هواة ،الذي لطالما انتظره عشاق النادي الأحمر، بالمقابل لن يدخرممثل مدينة الحسيمة أي جهد لبعثرة حسابات المحليين، ولهذا الغرض سيلجأ مدربه إلى دفع لاعبيه إلى التحكم في مجريات المواجهة من خلال السيطرة على معركة وسط الميدان، واستغلال المساحات الفارغة وتفادي السقـوط في الأخطاء، مع التركيـز على الهجومات الماغتة والمرتدات .

بالمقابل سيركـز قصي العلـوي مدرب وداد طنجة على تحفيز لاعبيه من أجل حسم معركة الصعود وإسعاد جماهيرالنادي،وذلك من خلال الإنضباط الفني والتركيز العالي وعدم التسرع في بناء العمليات مع الضغط بملعب الضيوف وتنشيط اللعب والحفاظ على الهدوء، فضلا عن اللجوء اللاعبين إلى أسلوبهم المعتاد في بناء العمليات من الخلف وتكثيف الهجومات وتنوعها،وإجادة سرعة التحول من الدفاع إلى الهجوم ،دون أن ننسى أهمية الإستفادة من دورالأجنحة والكرات الطويلة .

وفي بقية اللقاءات ترغب الفرق الأخـرى في إنهـاء الموسم ضمن أفضل مرتبة ممكنة، سيما بالنسبة لأندية الجهة الشمالية التي ضمنت مكانتها بالقسم الثاني هواة ، وهي علم طنجة، أولمبيك وزان، إضافة إلى شباب العرائش ونهضة مرتيل. ويشار أن مبـاراة الإيـاب بين الوداد والشباب الحسيمة انتهت بالتعادل الإيجابي بهدف لمثله.

صـــدمـــة بتطـــوان وعـــدم ارتيـــاح بطنجـــة

عاشت جماهير المغرب لحظات حزينة ومؤلمة،بعدما ودع فريقها المغرب التطواني منافسات البطولة الاحترافية المغربية، بعد ثلاث سنوات من عودته لقسم الأضواء في الموسم 2022-2023، ظل فيها يتخبط في دوامة انتخاب الرئيس المناسب وتغيير المدربين، لتكون نسخة الموسم المقبل من دون فريق يمثل مدينة تطوان ذات التاريخ الكروي العريق،حيث تقتصر المشاركة على أندية جهة طنجة تطوان الحسيمة على فارس البوغاز الذي أنهى موسمه بالمركزالعاشر بعيدا عن تطلعات وآمل جماهيره العريضة . وتركت مغادرة المغرب التطواني صدمة في قلوب محبيهما، خصوصا في ظل ارتفاع منسوب المعاناة والصعوبات التي تواجهها الأندية خلال البحث عن العودة لدوري الكبار من جديد، ويزيد من تلك الصعوبة بالنسبة للفريق التطوانـي غيـاب بوادر تجـاوز صدمـة الهبـوط ، ما يجعـل التنافـس على العودة سريعا لمكانه الطبيعي بقسم الأضواء شاقا ويحتاج جهدا مضاعفا على المستويين الفني والمالي.

ويتمنى الغيورون على فريق مدينة الحمامة البيضاء طي الموسم الحالي بكل سلبياته مع إعادة ترتيب أوراق النادي الفنية والإدارية، وذلك بغاية الظهور بثوب مختلف الموسم المقبـل من خلال الإعـداد الجيد والتحضير المبكر، بدعم من جماهيروباقي مكوناته، حتى لا يعيش الفريق ما عاشه جاره فريق شباب الريف الحسيمي، الذي كان رقما صعبا في القسم الأول قبل يلتحق بقسم الظلمات بالهواة. ومقابل صدمة الهبوط بتطوان، عم عدم ارتياح بطنجة بطنجة مع إحساس بعدم الرضا عقب تقديم اتحاد طنجة موسما لا يليق باسم وجماهير النادي للموسم الرابع على التوالي، بحصيلة لا توازي حجم وقيمة المصاريف المالية التي صرفت في الانتدابات الأخيرة على اللاعبين،والذين أصبح بعضهم عالة على النادي بسبب العروض الباهتة التي قدموها في معظم المباريات التي شاركوا فيها .

وفي انتظار أن تكشف الإدارة الفنية للنادي عن تقييم حصيلة التقنية للموسم 2024-2025، تترقب الجماهير قرارات إدارية مهمة ومدروسة من رئيس النادي نصرالله كرطيط تساهم في وضع التخطيط السليم، يكون بمثابة بوصلة طريق جديدة والإعداد المثالي للموسم المقبل .

إن تراجع أندية الشمال يحتاج إلى وقفة صادقة ودراسـة عميقـة للظروف التي ساهمت في ذلك، والعمل على توفير متطلبات بنـاء فرق تنافس على الألقاب وتلعب أدوارا طليعية.

التايكواندو: نادي إيلت طنجة بطلاً للعصبة الجهوية للفتيان

توج نـادي إليت للتايكوندو بطنجة بالبطولة الجهوية لفئتي الفتيان بعد سيطرة لاعبيه على جميع فئات الذكور في بطولة عصبة جهـة طنجـة تطوان التي احتضنت فعاليتها القاعةالمغطاة الزياتن مؤخرا .

واصـل أبطال وبطلات النـادي الذي تأسس عام 2019 تألقهم وأظهر معظمهم قـدرة كبيرة على الـوصـول للبوديـوم والمنافسة بقوة على المراكز الأولى، وبفضل استعدادهم الجيـد واستماتتهـم القويـة ورغبتهم القوية في إثبات ذاتهم في النزالات التي خاضوها ، استطاع أبطال نادي النخبة بقيادة مدربهم المتميز أيوب بنعامر حصد 7 ميداليات بواقع أربع ذهبيات وميدالية فضية ونحاسيتان ، مؤكدين بذلك تفوقهم على منافسهم في الترتيب الجماعي للفئات .

وتألق في هذه البطولة التي نظمتها العصبة تحت إشراف الجامعة الملكية المغربية للتايكواندو، البطل صلاح الدين الصالحي الذي نال المركز الأول وذهبية وزن أقل من 33كلغ، وعبدالسلام المهادي الذي نال ذهبية هي أقل من33كلغ، فيما عادت ذهبية وزن أقل من49كلغ للبطل عبد السلام الحضري السعدي،وفي وزن أكثر من 65كلغ كانت الرتبة الأولى والميدالية الذهبية من نصيب البطل ماهر الشيخي . ونال البطل زايد الحتمي الميدالية النحاسية في وزن 45كلغ، فيما تألقت البطلة جنة الحاتمي في وزن 47كلغ بعدما نجحت في أول مشاركة لها من تحقيق المدياليةالفضية . وبفضل هذه النتائج حصد نادي إليت للتايكوندو ما مجموعه 525 ن بصدارة الترتيب الجماعي لفئة الفتيان، متقدما على نادي أبطال بوحسيني طنجة صاحب المركزالثاني ب 205 ن، ونجاح طنجة الذي حل ثالثا ب105ن .

ويعد نادي إليت ناديا نموذجاً، وصاحب استراتيجية مستدامة قوامها مقاربة تربوية تضع اللاعـب في قلـب ومحورالاهتمام،وذلك بأسلوب يمزج بين التكوين والتأطير وإعداد أبطال المستقبل، فضلا عن المشاركة في المسابقات.

نادي أبناء البوغاز وصيفاً للبطولة الوطنية تواليا

على غرار الموسم الماضي، حل نادي أبناء البوغاز الرياضي للأشخاص في وضعية إعاقة بطنجة في المركز الثاني للبطولة الوطنية لكرة السلة على الكراسي للقسم الوطني الأول للموسم الرياضي 2025-2024 ، والتي نظمتها الجامعة الملكية المغربية لرياضة الأشخاص في وضعية إعاقة ،بتنسيق مع جمعية التحدي للأشخاص في وضعية إعاقة الرباط، يومي السبت 17 والأحد 18 ماي 2025 بالقاعة المغطاة ابي رقراق بالرباط.

وكعادته وقع النادي الطنجي على مشوار متميز واستطاع البلوغ إلى المباراة النهائية ، وكان يمني النفس بالظفر بالبطولة وإهدائها لروح الفقيد المرحوم « مراد العماري» نجم الفريق الذي انتقل إلى الرفيق الأعلى شهر مارس الماضي .

ومرة أخرى وللموسم التالي على التوالي ،واجهت مجموعة المدرب مصطفى سامي في المباراة النهائية فريق الجمعية الرياضية للأشخاص في وضعية إعاقة سوس أكادير، في مباراة قوية كان الفوزفيها حليف الفريق السوسي بنتيجة 49 مقابل 47، محافظا بذلك على لقبه على حساب نادي أبناء البوغاز وصيف كأس العرش لكرة السلة على الكراسي لعام 2024، ووصيف البطولة الوطنية للعام الثاني على التوالي.

كتابات في تاريخ منطقة الشمال :
(1197)

• أسامة الزكاري
zougariousama@gmail.com

سيدي محمد بن عبد الله وقضية مليلية المحتلة

صدر كتاب «سيدي محمد بن عبد الله وقضية مليلة المحتلة (1774-1775) من خلال يومية الإسباني خوان كبييرو» للدكتور حسن الفكيكي سنة 1996، في ما مجموعه 177 من الصفحات ذات الحجم الكبير. والكتاب -في الأصل- ترجمة لإحدى أهم المصادر التاريخية الأجنبية الخاصة بتاريخ المغرب خلال القرن 18، والمتعلقة -تحديدا- بالحصار الذي فرضه السلطان المذكور سنة 1774 من أجل تحرير المدينة المحتلة. وتعود أهمية هذا العمل إلى غياب أي توثيق تصنيفي أو وصفي حول الموضوع بين متون الإسطوغرافيا المغربية الكلاسيكية للمرحلة المعنية بالدراسة، وكذا بالنسبة للمصنفات التي وُضعت خلال العقود اللاحقة. لذلك، يبدو غريباً أن لا تحظى واقعة الحصار المشار إليه بأية إشارات أو معطيات يمكن أن تفيد الباحث المعاصر، ويزداد هذا الاستغراب إثارة للانتباه إذا علمنا أن ذلك العصر لم يكن يعدم كبار المؤرخين والكتاب والأدباء والمفكرين الذين خلفوا أعمالاً رائدة لازالت متداولة إلى يومنا هذا.

أمام هذه الثغرات البيبليوغرافية الكبيرة، التجأ حسن الفكيكي إلى النهل من رصيد الكتابات الإسبانية الغزيرة التي اهتمت بالموضوع، مركزا على إحدى أهم المتون المدونة التي خلفها المهندس العسكري خوان كبييرو الذي أوفدته الحكومة الإسبانية من قادس إلى مليلية في شتنبر من سنة 1774 بهدف دراسة تحصيناتها وصيانتها وإصلاحها، وكذلك من أجل إيقاف زحف المغاربة الذين اعتمدوا على الخنادق والأنفاق من أجل التسرب إلى المدينة المحتلة. وقد اعتمد حسن الفكيكي في عمله هذا، على ترجمة يومية المسؤول الإسباني المذكور، ثم التعليق عليها وإغنائها بالشروحات الضرورية، بشكل يسمح بإعادة تركيب مجريات حصار سنة 1774 بكل تفاصيله ووقائعه التي عكست إصرار المغاربة على استرجاع الثغور الشمالية المحتلة بكل الوسائل المتاحة.

تتوزع مضامين الكتاب بين قسمين متكاملين، سعى فيها المؤلف/ المترجم إلى مقاربة الموضوع من جل جوانبه من خلال قضاياه الكبرى الكفيلة بالكشف عن جوانبه المجهولة لدى مؤرخي اليوم. في هذا الإطار، كتب حسن الفكيكي في تقديمه للكتاب قائلا: «وأسارع إلى القول إن إقدامنا على ترجمة اليومية لم يأت إلا بعد التأكد من أهميتها التاريخية، ليس فقط بالنسبة للشمال الشرقي المغربي، بل بالنسبة لتاريخنا الوطني عامة. أردنا بتلك الترجمة تقديم صورة جديرة بالإثارة من صور الكفاح المغربي المناهض للوجود الأجنبي والكشف عن محاولة من محاولات المغرب العديدة الهادفة لاسترجاع جزء من أجزاء ترابه المغتصب، وذلك من خلال كتابة شاهد عيان إسباني مسؤول عن أكبر العمليات المضادة للحصار. موضوع تجهل تفاصيله جميع مصادرنا الوطنية...» (ص.6).

ومن أجل التمهيد للموضوع في سياقاته المؤطرة قدم المؤلف - في البداية - مدخلا تاريخيا عاما عرف فيه بمصادر الحصار المغربي لمليلية، وخاصة منها تلك المحفوظة بخزانتين إسبانيتين هما «الأرشيف العام بسمنكاس» و«الأرشيف التاريخي الوطني»، إلى جانب الاستعانة بمذكرة شخصية للفنزويلي فرانسيسكو دي ميراندا الذي كان منخرطا في سلك المشاة بالجيش الإسباني وجيء به ضمن الإغاثة العسكرية الأولى المتوجهة إلى مليلية يوم 30 دجنبر 1774 رفقة صاحب اليومية موضوع الترجمة في هذا الكتاب. وفي نفس السياق كذلك، فصل المؤلف الحديث طويلا عن اليومية المذكرة، مركزا في ذلك على التعريف بصاحبها، وبخصوصيات طريقته في الكتابة على مستوى المضامين وكذا على مستوى أشكال تصنيف المعلومات والوقائع. وانطلاقا من نظرته التشريحية الفاحصة، أمكن للمؤلف حصر الأهمية التاريخية لليومية، وخاصة بالنسبة للمعطيات المتعلقة بتقويم الجيش الجهادي، وبالمواقع الحربية، وبخصوصيات حرب الأنفاق والخنادق التي نهجها المغاربة، وبحيثيات تسرب أخبار تنظيم الهجوم العام، وبنوعية إمدادات الجيش المغربي. وختم المؤلف هذا المدخل بإبراز المكانة التي أصبحت تحتلها مليلية على رأس أولويات استكمال الوحدة الترابية، بما ترتبت عنها من تعبئة وطنية شاملة توجت بزحف فيالق المجاهدين وفرق الجيش المغربي على المدينة خلال حصار سنة 1774.

وفي القسم الثاني من الكتاب، أدرج المؤلف نص الترجمة العربية الكاملة ليومية خوان كبييرو والتي تغطي الفترة الممتدة بين شهر دجنبر 1774 وشهر مارس 1775، إلى جانب ملحق وثائقي هام له علاقة باليومية موضوع الدراسة. وفي كل ذلك، حرص المؤلف على تقديم ترجمة راقية توازي بين خصوصيات الوصف التاريخي وبين سلامة اللغة ودقة الخرائط والرسوم التوضيحية المرفقة. والملاحظ أن حسن الفكيكي لم يكن ليكتفي بتقديم تعريب لفظي مباشر، بل أغنى عمله باجتهادات دقيقة حول تحديد المواقع وضبط الأسماء الجغرافية وإرجاعها إلى أصلها المغربي كما هو الحال -مثلا- مع لفظة «مليلة» المغربية الأصيلة التي غطت عليها لفظة «مليلية» التي أدخلها الاستعمار الإسباني وتكرست بشكل خاص منذ القرن 18 وإلى يومنا هذا. وقد أدى هذا التوسع في ضبط الأعلام البشرية والتاريخية والمواقع الجغرافية إلى إثقال الكتاب بكم هائل من المعطيات التوضيحية، الشيء الذي جعله يتحول إلى تصنيف موازٍ للتصنيف موضوع الترجمة. ولعل هذا ما أغنى من قيمة العمل وأكسبه مصداقية منهجية وعلمية أكيدة حدد المؤلف منطلقاتها العامة عندما قال: «وإذا كنا قد أتخمنا الهوامش وأثقلناها ببيانات وتفاسير إضافية، فلأننا رأينا أن يومية كبييرو جد مقتضبة، ليست في الأخير سوى نقط مسجلة مختصرة في حاجة إلى تفسيرات ملحة، ونحن بصدد موضوع ذي أهمية قصوى بالنسبة لملف الوحدة الترابية، لم نقدم منه في الواقع سوى إطلالة وثائقية أولية لا غير. ويعود تضخم مادة الهوامش أساسا إلى حرصنا الشديد على تسجيل أهم الإضافات الواردة بيومية فرانسيسكو دي ميراندا... علاوة على ما تم إدراجه من الإشارات إلى مصادر مساعدة أخرى وكذا النصوص المقتبسة من المراسلات المغربية المختومة... ولم يكن من محيد عن إلحاق عدد لا بأس به من الرسوم المعاصرة لفترة الحصار المغربي سبق أن عثرنا عليها متفرقة في المراجع الإسبانية... وأضفنا إلى كل ذلك بعض الصور الفوتوغرافية المرتبطة بموضوع اليومية ضمانا للتوضيح الكافي المطلوب...» (ص ص. 7-8).

قدم حسن الفكيكي عملاً رائداً وفريداً من نوعه، أصبح وهو مرجع توثيقي لملفات الوحدة الترابية الخاصة بمدينة مليلية، وعاكساً لإحدى أبرز المواقف الوطنية التي ارتبطت بجهاد المغاربة من أجل استرجاع الثغور المحتلة خلال القرن 18م.